طائفة اليهود في مدينة القدس من بدايات الحكم العثماني إلى قُبيلَ قيام الحركة الصهيونية (٩٢٢هـ/١٥١٦م-١٣١٥هـ/١٨٩٧م)

إبراهيم ربايعة*

ملخـص

تعالج هذه الدراسة العلمية جانباً أقل ما يوصف به أنه حيوي ومحوري في الصراع العربي الإسرائيلي المتمثل بتهويد القدس، وذلك بتسليط الضوء على حقيقة المشروع الصهيوني المتمحور في غايته بتهويد القدس، كما تهدف الدراسة أيضاً إلى تكثيف أدواتها على الفترة الزمنية التي شهدت بدايات ظهور المخططات والآليات المتبعة آنذاك لتنفيذ اليهود مآربهم، بحيث نتعرف إلى التطور التاريخي لهذا المشروع وأساليبه الرامية إلى أسرلة الحجر والبشر، ويمكن أن نتعرف-من خلال ما سنعرضه لاحقاً-إلى التغير أو التطور في الوسائل التي اتبعوها بفعل الظروف والمستجدات الإقليمية والعالمية سلباً أو إيجاباً على مشروعهم.
وقد آثرت هذه الدراسة معالجة محاور البحث بالاعتماد على الموروث الثقافي والحضاري للمجتمعات العربية لاسيما الوثائق العثمانية، والتي تعد مصدراً بكراً وأصلياً يؤرخ لمدينة القدس في شتى مجالاتها الحياتية خلال الحكم العثماني.
واليهود باعتبارهم جزءاً من التركيبة السكانية للمجتمع المقدسي فقد دونت الوثائق قضايا عديدة كان اليهود طرفاً بها، وبعد تفحص هذه المصادر التي تعود إلى الفترة العثمانية وجدت كمية لا بأس بها من الوثائق التي تتحدث عن واقع حالهم فيها تستحق الدراسة، لما لها من الأهمية في معرفة البدايات الأولى لوجود اليهود في القدس قبل تأسيس الحركة الصهيونية، كما ارتأت هذه الدراسة ضرورة تناول هذا الموضوع؛ للكشف عن واقع الحياة وطبيعة المخططات والمسلكيات التي مارسها اليهود في القدس لتعزيز وجودهم فيها من جهة، والسيطرة على ما يمكن السيطرة عليه من المدينة المقدسة من جهة اخرى.

الكلمات الدالة: القدس، اليهود، الحكم العثماني، الحركة الصهيونية.

مقدمة:

بدايةً علينا عند تناول هذا الموضوع أن نستحضر مدى الوثاق والترابط والتداخل بين مفهوم الدولة والقدس في الفكر اليهودي والصهيوني، فقد شكلت القدس بؤرة جذب لليهود في التعبئة الفكرية والايديولوجية، فلا غنى عن القدس (أورشاليم) في الأدبيات العقائدية والتاريخ اليهودي، فهي تمنح الدولة غطاء تاريخياً ودينياً تعزز من إمكانية طول بقاء هذه الدولة، بفعل وقوف أكبر عدد ممكن من اليهود وراء هذا المشروع القائم على إذكاء الشعور الديني، وتمجيد التاريخ اليهودي لتحقيق الذات الجماعية.

* جامعة القدس المفتوحة، منطقة طولكرم التعليمية، فلسطين، Ibrahimrabayaa20@yahoo.com.

تاريخ استلام البحث ٢٠٠٧/١٠/١٨م، وتاريخ قبوله للنشر ٢٠٠٨/٧/١م.

يبدو أن بعض الباحثين المتخصصين في هذا المضمار التاريخي من القضية الفلسطينية عندما يتناولون المشروع اليهودي من القدس بمداه الزمني يعودون إلى القرن التاسع عشر الميلادي على أبعد تقدير، بينما الفترات السالفة لاسيما القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادي لم تَنل هذا الاهتمام. لذلك ينبغي عند الغوص بحثاً ودراسة في أعماق هذا الماضي أن نأخذ في الاعتبار بأن التطور التاريخي للوجود اليهودي في القدس أنه عملية تراكمية ليست محض صدفة استغرقت وقتاً طويلاً ومرت في مراحل مختلفة حتى وصلت إلى ما هي عليه.

تتصاعد في هذه الآونة مخططات اليهود الرامية إلى سلب الهوية العربية الإسلامية عن القدس وجعلها مدينة يهودية مهما كلف ذلك من ثمن، وقد جاءت هذه الدراسة؛ للكشف عن حقيقة العلاقة اليهودية بالقدس لاسيما في هذه الآونة التي بدأت فيها المخططات الصهيونية تأخذ منحى علنياً وواضحاً لا يخفى على ثاقب نظر ورؤية. وما قضية باب المغاربة-التي أثيرت مؤخراً-إلا حلقة على طريق السيطرة الكاملة على الحرم القدسي وجعله معبداً يهودياً(The Temple).

وحتى نَعي هذا التطور بشكل علمي ومنهجي ترجع الدراسة العلمية إلى بدايات الحكم العثماني في البلاد العربية سنة٩٢٢هـ/١٥١٦م إلى قبيل قيام الحركة الصهيونية١٣١٥هـ/١٨٩٧م، فقد عاش اليهود في ظل الدولة العثمانية في جوٍ تغمره روح التسامح والمعاملة الحسنة، وكانت تتابع شؤونها بحسب قانون"ملت"[١] العثماني الذي منحهم هامشاً جيداً من الإدارة الذاتية[٢]، يذكر أن هذا التسامح الذي ناله اليهود في ديار الإسلام لم يكن زمن العثمانيين فقط بل كان قبل ذلك بكثير حيث بدأت هجرة اليهود إلى فلسطين منذ منتصف القرن الثاني عشر الميلادي؛ بسبب حركة الملاحة البحرية، ومن ثم زادت أيام صلاح الدين الأيوبي بسبب المعاملة الحسنة، كما أن دولة المماليك حذت حذو بني أيوب في ذلك، فكانت طائفة اليهود بأحسن حالاتها، مما أوجد علاقات متينة ما بين الطوائف اليهودية والنظام الإسلامي[٣]، كما هاجر اليهود إلى ديار الإسلام مِمن تعرضوا للاضطهاد والقتل، مثل السفارديم[٤] يهود أسبانيا والبرتغال بعد سنة٨٩٨هـ/١٤٩٢م[٥]، فقد وصلت جماعات

---

١. نظام الملة: نظام حدد فيه أوضاع أهل الذمة في دولة الإسلام، كان السلطان محمد الفاتح العثماني قد أصدره عند تنصيب البطريرك جيناديس في ٢٢ذي الحجة٨٥٨هـ/أول كانون الثاني١٤٥٤م، حيث منح هذا النظام أهل الذمة حقوقاً مدنية ودينية لم يتمتعوا بها من قبل. الحجج الشرعية كانت تخاطبهم" قدوة الملة"، س ش القدس٢٢٨، ٩رمضان١١٩٩هـ/١٦تموز١٧٨٥م، ص٢١٠؛ أحمد حامد إبراهيم القضاة، **نصارى القدس في ضوء الوثائق العثمانية**، بيروت، ٢٠٠٧م، ص٦٣-٧٠.

٢. عادل مناع، **فلسطين في أواخر العهد العثماني** ١٧٠٠-١٩١٨، بيروت، ١٩٩٩م، ص٢٢٨.

٣. مجير الدين الحنبلي العليمي (ت٩٢٧هـ/١٥٢٠م)، **الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل**، ج٢، مكتبة دنديس، الخليل، ١٩٩٨م، ج٢، ص٤٢٦-٤٤٠؛ شمس الدين محمد بن علي الصالحي ابن طولون، (ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م)، **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**، وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ص٢٨٣؛ زياد المدني، **مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد العثماني(١٢٤٦هـ/١٨٣١م-١٣٣٦هـ/-١٩١٨م)**، عمان، ٢٠٠٤، ص٢٢٧.

٤. السفارديم: هم اليهود الذين توطنوا في القدس، وقد جاءوا إليها من اسبانيا والبرتغال، س ش القدس١٩٩، ح١، ختام شعبان١١١٠هـ/٥كانون الثاني١٦٩٩م، ص٨٠؛ المسيري، **موسوعة اليهود واليهودي والصهيونية**،

عديدة منهم إلى فلسطين، وسكنوا في مدنها الرئيسة (القدس، وطبريا، وصفد، والخليل)، وكان يسر المواصلات البحرية عاملاً مساعداً في قدومهم إلى فلسطين[٦]. ومن الهجرات اللاحقة أيضاً الأشكنازيم[٧] يهود بولندا وروسيا بسبب اضطهادهم من قِبل الأوروبيين؛ بفعل مسلكياتهم الغريبة عن المجتمع الأوروبي[٨]. لقد رأت الدولة العثمانية في هجرة اليهود المتزايدة إليها أمراً عادياً جاء بفعل العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي عاشها اليهود في البلاد التي رحلوا عنها.

ومن جانب آخر، كانت الامتيازات التي منحت للدول الأجنبية في النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي عاملاً مساعداً في تعزيز الوجود اليهودي وتثبيته في السلطنة العثمانية لاسيما اليهود من رعايا الدول التي كانت طرفاً في تلك المعاهدات[٩]، فقد تحركوا بهامش واسع داخل السلطنة ومارسوا فيها كل ألوان النشاطات المالية من بيع وشراء وتصنيع، لدرجة أنهم استلموا بعض الصناعات الحساسة كالمنسوجات التي لا غنى للدولة عنها[١٠]؛ وسبب هذا التميز والخصوصية يعود إلى القدرة المالية التي تمتعوا بها، حيث استطاعوا الانخراط في البنية الاقتصادية للدولة العثمانية فكانوا فيها جزءاً رئيساً لا يمكن تجاوزه أو الاستغناء عنه. كما أن حرية تنقل اليهود ما بين الدول الأوروبية لاسيما الدول حاضنة النهضة، مكنتهم من نقل التقنيات المختلفة وتوظيفها لصالحهم في قلب السلطنة العثمانية[١١].

من خلال هذه التطورات نَصلُ إلى فلسفة عثمانية مفادها أن موقفها من اليهود بني على

ج٨، دار الشرق، بيروت، ١٩٦٨م، ج٢، ص١٢٢؛ الموسوعة العربية العالمية، ج٣٠، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، ط٢، ج٢٧، ص٣٤٩.

٥. ٨٩٨هـ/١٤٩٢م: وهي السنة التي انتهى فيها الوجود العربي الإسلامي من الأندلس حيث تعرض اليهود إلى ما تعرض إليه المسلمون من قتل وتشريد وإبعاد، وقد عرف القانون الذي تضمن هذه الإجراءات (محاكم التفتيش)، زيدان كفافي وآخرون، **القدس عبر العصور**، جامعة اليرموك، ٢٠٠١م، ص٢٦٢؛ يوسف أيوب حداد، هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين، ج٢، بيروت، ٢٠٠٤م، ج١، ص٢٦٦-٢٧٥.

٦. الكزاندر شولش، **تحولات جذرية في فلسطين ١٨٥٦-١٨٨٢م**، نقله إلى العربية كامل العسلي، عمان، ١٩٨٨م، ص٩٢؛ روجيه غارودي، **فلسطين أرض الرسالات السماوية**، دمشق، ١٩٩١م، ص١٣٢.

٧. اشكنازيم: اليهود الذين قدموا من شرق أوروبا ووسطها، ويعودون إلى أصول مختلفة كيهود ألمانيا وروسيا ورومانيا، سجلات محكمة القدس الشرعية" نسخة مايكروفلم مؤسسة إحياء التراث" "القدس-أبو ديس" ونسخة سجلات القرن السادس عشر والسابع عشر"ميكروفلم" بحوزة أسرة المرحوم الدكتور محمود عطا ا ، س ش القدس١٩٩، أواخر شعبان١١١٠هـ/أوائل كانون الثاني١٦٩٨م، ص٩١؛ المسيري، **موسوعة**، ج٢، ص١٢٥، ج٤، ص٢٥١.

٨. آرثر كوستكر، **إمبراطورية الخزر وميراثها القبيلة الثالثة عشر**، ط٢، ترجمة حمدي مصطفى صالح، دار الخليل، دمشق، (د،ت)؛ Hyamson, Albert, Palestine Old and New, London, 1923. p. 369

٩. مؤلفات جورجي زيدان، ج١٩، دار الجيل، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ج١٩، ص١٦-١٨.

١٠. فليب قارج ويوسف كرباج، **المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي والتركي**،، ترجمة بشير السباعي، القاهرة، ١٩٩٤م، ص١٤٧-١٥٠.

١١. المسيري، **موسوعة**، ج٤، ص٢٥٧-٢٥٨؛ بشير نافع، **الإمبريالية والقضية الفلسطينية**، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٣٦.

دعامتين رئيستين، الأولى: الجانب الأخلاقي والإنساني للمهجرين، والثانية: استخدام اليهود وتوظيفهم بما يحقق مصالحها العليا[١٢].

*** طائفة اليهود في القدس**:

مارس اليهود حياتهم في القدس في جوٍ من التسامح والتعاون في إطار الحقوق والواجبات التي حددتها العهود والمواثيق التي قطعها المسلمون لأهل الذمة منذ العصر الإسلامي الأول[١٣]، وكما هو معروف فاليهود طوائف مختلفة في طقوسها ومعتقداتها[١٤]، وجد منهم في القدس خلال فترة الدراسة اليهود القرائين[١٥]، واليهود الاشكنازيم، واليهود السفارديم، وكان لطائفتهم متحدث باسمهم ذكرته الوثائق بأسماء مختلفة، منها: وكيل الطائفة أو الخاخام باشي أو البرنس[١٦]، مهمته تكمن في متابعة كل القضايا التي تتعلق باليهود وأحوالهم ومعاملاتهم أمام القاضي الشرعي والحكام[١٧].

أما مكان الإقامة فكان السواد الأعظم منهم في محلة[١٨] واحدة عرفت باسمهم وهي محلة اليهود

---

١٢. Judaism , ***Encyclopedia Britannica***, Volume 30, 1943-1973.؛ حسان علي الحلاق، **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية١٨٩٧-١٩٠٩م**، دار الهدى، بيروت، ١٩٧٨م، ص٢٨؛ عفيف فراج، **اليهودية بين الشرق الثقافة وحضارة الغرب السيا**سة، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٢٨-٣٠.

١٣. س ش القدس١٢٢،٥ربيع الثاني ١٠٤٤هـ/٢٦أيلول ١٦٣٤م، ص٦٦٩؛ خليل عثامنة، **فلسطين في خمسة قرون من الفتح الإسلامي حتى الغزو الفرنجي**، بيروت، ٢٠٠٠م، ص١٦٤-١٦٩.

١٤. ظهرت تيارات فكرية يهودية في أوروبا مثل الحاخامية والحسيودت والهسكلاه، صبري جريس، **تاريخ الصهيونية** ١٨٦٢-١٩٤٨م، ج٢، القدس، ١٩٨٧م، ج١، ص٢٤.

١٥. اليهود القرائين: طائفة من اليهود تواجدت في بلاد الشام ومصر، كانوا يتكلمون العربية، يعتقد أنهم من بقايا دولة الخزر أو أنهم قدموا من العراق وإيران، تقوم عقيدتهم على الاعتراف بالعهد القديم مع رفض ما جاء بالتلموذ، وهذا التنوع في المعتقدات عند اليهود أدى إلى وقوع خلافات فيما بينهم خلال العصر العثماني، س ش القدس ٨٤، ٢٣ تموز١٦٠٣هـ/١٣صفر١٠١٢م، ص٦٧؛ س ش القدس ١١٩، ٥رجب١٠٤١هـ/٢٩كانون الأول١٦٣١م، ص٢١؛ س ش القدس٣٣٠، رجب ١٢٦٤هـ/٣حزيران١٨٤٨م، ص١٢٥؛ ليلى الصباغ، **الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرن السادس عشر والسابع عشر**، ج٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م، ص٨٧٦؛ زكي نسيبة، **اليهود في القدس العربية الإسلامية بعد الفتح العمري وحتى القرن التاسع عشر**، دون مكان نشر وتاريخ نشر، ص٢٢؛ المسيري، **موسوعة**، ج٤، ص٢٥١؛ المدني، **مدينة**، ص٢٢٩.

١٦. البرنس (برناسي) (برناص): كبير الطائفة ومعيلها والمتحدث بسم اليهود القاطنين في القدس الشريف، س ش القدس ٢٢٨، ٥جمادى الثانية١١٤٩هـ/١١تشرين الأول١٧٣٦م، ص١٣٣؛ نسيبة، **اليهود**، ص ٤٠،٦٦؛ محمود نهاد الشناق، **العلاقات بين العرب واليهود في فلسطين ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م-١٣٣٣هـ/١٩١٤م**، فلسطين، ٢٠٠٥م. ص١١٠.

١٧. س ش القدس ١٤٢، ٢ذي القعدة١٠٥٩هـ/٧تشرين الثاني١٦٤٩م، ص٧٩.

١٨. المحلة: يقصد بالمحلة عبارة عن مجموعة من البيوت في منطقة واحدة يتخللها عدد من الساحات، تشكل محلة أو مجموعة من المحلات تفصل بينها الخطوط، وقد تكون لطائفة أو مجموعة من الطوائف، بحيث عرفت بعضها بأسماء العائلات أو الطوائف التي سكنتها، س ش القدس٢٣،٨٣جمادي الثاني١٠١٠هـ/١٩كانون الأول١٦٠١م، ص٧٤؛ نسيبة، اليهود، ص٥٤؛ محمد هاشم غوشة، **حارة السعدية في القدس دراسة معمارية وتاريخية**، مطبعة بيت المقدس، فلسطين، ١٩٩٩م، ص٧١.

التي تقع غرب الحرم بين محلة المغاربة والريشة والحيادرة[١٩]، كما كان لهم وجود قليل في محلات أخرى قريبة من محلة اليهود، منها: محلة الحيادرة[٢٠]، ومحلة الشرف والريشه[٢١].

كما يبدو أن تعدد الطوائف اليهودية في القدس أدى إلى أن وجود أكثر من كنيس فيها، وقد وجدت جميعها في حارة اليهود والحيادرة[٢٢] القريبة منها، فكان كنيس لليهود القرائين[٢٣]، وآخر للأشكنازيم[٢٤]، ذكرتْ الوثائق أنه حصل عليه بعض الترميمات، منها أنه سمِح لهم بترميمه في سنة١٠٣٢هـ/١٦٢٢م، وقد أشرف عليه قاضي القدس ونائب أمير لواء القدس للتحقق من أن الترميم تم وفق الشروط التي التزموا بها[٢٥]. كما رمم في بدايات القرن الثامن عشر الميلادي[٢٦]. ويوجد قرب الكنيس دير لليهود الاشكنازيم[٢٧] ذكرته الوثائق عندما طلب القائمون عليه السماح لهم بترميمه، كما ظهر في هذا القرن كنيس آخر لليهود المغاربة ذكر أنه يقع في عقبة الكماج غرب الحرم[٢٨].

إلى جانب هذه المرافق يوجد مكتب لتعليم أطفال اليهود ويقع أيضاً في محلة اليهود، وقد أشارت الوثائق إلى أنه سمح لهم بترميمه في سنة١٠٤٢هـ/١٦٣٣م[٢٩].

أما عدد اليهود فقد أوردت المصادر إحصاءات لعدد اليهود في مدينة القدس، فما أن بسطت الدولة العثمانية نفوذها على بلاد الشام حتى شرعت بإجراء الإحصاءات الشاملة؛ لتحديد مقدار ما ستجبيه من السكان، وهذه الإحصاءات تعطينا أرقاماً واضحة عن أعداد اليهود، كذلك يمكن أن نتعرف إلى أعداد اليهود في القدس من خلال الحجج الشرعية التي دونت فيها قضايا جمع الجزية المفروضة على أهل الذمة يهوداً كانوا أم نصارى[٣٠]، فقد أظهرت المصادر العثمانية أن عدد

---

١٩. س ش القدس٨٣، ١٦شوال ١٠١٠هـ/٩نيسان١٦٠٢م، ص١٧٤؛ العليمي، **الأنس**، ج٢، ص٥٢.
٢٠. س ش القدس١٢٢، ٢١ربيع الثاني١٠٤٣هـ/٢٥تشرين الأول١٦٣٣م، ص٥٧.
٢١. س ش القدس١٣٤، ١٣ذي القعدة١٠٥٣هـ/٢٤ كانون الثاني١٦٤٤م، ص٢٦٧.
٢٢. ذكرت الحجج الشرعية التي تعود إلى القرن السادس عشر كنيس لليهود المستوطنين في حارة الحيادة لتفريقهم عن اليهود تبعة الدولة العثمانية، س ش القدس٥٥، ٥ربيع الأول٩٨١هـ/٥تموز١٥٧٣م، ص٤٩٣.
٢٣. نسيبة، **اليهود**، ص٢٧، ٧٤.
٢٤. تم تجديد بناء هذا الكنيس أيام السلطان المملوكي قايتباي، وقصة الهدم والتجديد ذكرها العليمي بالتفصيل، حيث أشار أن الكنيس حادث في الإسلام، العليمي، **الأنس**، ج٢، ص٤٢٦-٤٤٠؛ نجم الدين محمد بن محمد، الغزي (١٠٦١هـ/١٦٥٠م)، **الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة**، ج٣، تحقيق جبرائيل جبور، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م، ج١، ص٢٩٩.
٢٥. القاضي محمد أفندي ونائب الباشا مصطفى جاويش، س ش القدس١٠٥، ١٠ربيع الأول١٠٣٢هـ/٢ كانون الثاني١٦٢٣م، ص٧٥٥؛ س ش القدس٣٦٩، صفر١٢٩٨هـ/كانون الثاني ١٨٨٠م، ص٥٧.
٢٦. س ش القدس١٩٩، ١٣ربيع الأول١١١١هـ/١٥آب١٦٩٩م، ص٢٥٥.
٢٧. س ش القدس٥٤، ١٦ذي القعدة٩٧٩هـ/٣١آذار ١٥٧٢م، ص٢٨٠.
٢٨. س ش القدس١٩٣، ٦شعبان ١١٠٣هـ/٢٣نيسان١٦٩٢م، ص١١؛ س ش القدس٣٦٨، جمادي الثانية١٢٩٤هـ/٢٤حزيران١٨٧٦م، ص٢٠٧.
٢٩. س ش القدس ١٢١، ١٤شوال١٠٤٢هـ/٢٧نيسان١٦٣٣م، ص٣١.
٣٠. يذكر أن أهل الذمة-اليهود والنصارى-كان مفروضاً عليهم ضرائب متنوعة، فبالإضافة إلى ضريبة الجزية،

اليهود من دافعي الجزية داخل القدس في بدايات الحكم العثماني ٩٣٢هـ/١٥٢٥م كان ١٩٩جزية(خانة[٣١])، وما أن دخل النصف الثاني من القرن السادس عشر حتى وصل عدد دافعي الجزية إلى٦٧[٣٢]، وتشير حجة شرعية تعود إلى سنة ٩٨٠هـ/١٥٧٢م إلى تراجع آخر طرأ على عدد اليهود مِن دافعي الجزية، فتذكر الحجة الخلاف الذي وقع بين الحكام واليهود عندما قاموا بحصر عدد اليهود؛ لغرض دفع المستحقات، فقد تظلم اليهود من دفتردار[٣٣] دمشق؛ لأنه سجل كل من وجده منهم في القدس بوصفهم دافعين للجزية بما فيهم الزوار، وأنه يطالبهم بما سجله وهو ١٧٥ جزية، عند ذلك أرسل القاضي من طرفه من يضبط عدد اليهود الموجودين في الكنيس فوجدهم ١١٥ يهودياً، عندها قرر القاضي أن تكون الجزية ٦٠جزية للدفتردار، و٥٥لوقف الحرم القدسي الشريف[٣٤].

يلحظ مما ذكر في الحجة السابقة أن من شملهم التعداد هم من يهود الذمة وليس اليهود تبعة الدول الأجنبية، وقد أشارت الحجج الشرعية إلى ذلك، ففي أحدى الحجج التي تعود إلى القرن السادس عشر ذكر فيها يهودي مغربي من ذمة القدس، ويهودي سكناجي(الأشكنازيم) مستوطن

كانت ضريبة الغفر (الخفر) التي تُحصل من الزوار القادمين إلى القدس؛ لقاء حمايتهم من الأخطار وقطاع الطرق، وكذلك ضريبة العيدية أو العادة القديمة، التي تأخذ من أهل الذمة في العيدين (الفطر والأضحى) وأعيادهم، ففرض على اليهود الإفرنج في عيد الفطر والأضحى وفي عيدهم٣٤ قطعة مصرية، وضريبة الخمرية٣٤ قطعة مصرية، كما فرض على اليهود السكناج (الإشكنازيم) ١٥قطعة مصرية وضريبة خمرية خمس قطع، ينظر في: (س ش القدس ٢٣١، ١٨جمادى الثانية١١٥٤هـ/٣١آب١٧٤١م، ص١١٥). ومن الضرائب أيضاً، ضريبة العوارض: تفرضها الدولة عند الأزمات على أساس الخانة، نقداً أو عيناً، والخانة هنا تختلف، فكل ٤-٥خانات أي عائلة تشكل خانة عوارض، وضريبة العادة المعتادة التي يدفعها اليهود في بداية شهر رمضان من كل سنة، ينظر في: س ش القدس١٩٩، ١٥جمادى الأولى١١١١هـ/١٥تشرين الأول١٦٩٩م، ص٣١٩؛ س ش القدس ٣٠٧، أواخر جمادى الثاني١٢٣٨هـ/١١آذار١٨٢٣م، ص٤٣؛ سجلات محكمة نابلس الشرعية، مصورة على قرصDVD، يوجد نسخة في جامعة القدس المفتوحة، منطقة طولكرم التعليمية، س ش نابلس٩، أواخر ذي القعدة١٢٤٦هـ/٢٠تموز١٨٣٠م، ص٨؛ قسطنطين بازيلي، **سوريا ولبنان وفلسطين تحت الحكم التركي من الناحيتين السياسية والتاريخية**، ترجمة يسر جابر، مراجعة منذر جابر، موسكو، دار التقدم، ١٩٨٩م، ص١٠٣؛ Amnon Cohen and Bernard Lewis, Population and Revenue in the Towns of Palestine in the Sixteenth Century, Princeton University Press, Princeton, 1978. p. 72 .

٣١. خانة: كلمة فارسية تعني الأسرة، وهي وحدة تعداد السكان في الدولة العثمانية، ومتوسط عدد أفرادها من ٥-٦ أنفار.

٣٢. لواء القدس الشريف، لواء القدس من دفتر مفصل لواء صفد وغزة والقدس الشريف، من دفتر تحرير(T.D.427)، دراسة تحليلية للنص العثماني وترجمته إلى العربية مع الشروحات الإيضاحية، محمد عدنان البخيت ونوفان رجا السوارية، عمان، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٣١؛ Cohen and Lewis, Population. p. 77-79.

٣٣. الدفتر دار: هو مسؤول المالية في الولاية، يعين من قِبل السلطان، ويتمتع بسلطات واسعة، ويعتبر وكيل السلطان في الولاية، عبد العزيز عوض، **بحوث في تاريخ العرب الحديث (١٥١٤-١٩١٤م)**، عمان، ١٩٨٣م، ص٧١.

٣٤. س ش القدس٥٥، ١٨جمادى الأولى٩٨٠هـ/٢٦أيلول١٥٧٢م، ص٢٠٧-٢٠٨.

بالقدس[٣٥].

أما الدفاتر العثمانية التي تعود إلى نهاية القرن السادس عشر الميلادي فذكرت أن عددهم كان ٣٢١ خانة (الأسرة)، و١٣مجرد[٣٦]. وفي سنة ١٠١٥هـ/١٦٠٧م كان عليهم ستون جزية[٣٧]، وكان عليهم أربع وثمانون جزية لصالح وقف الصخرة المشرفة، مقدار كل جزية أربعةُ غروش أسدية[٣٨] ونصف الغرش[٣٩].

كما ورد في حجة شرعية تعود إلى سنة ١٠٧٣هـ/١٦٦٣م أن مندوب دفتردار دمشق ادعى أمام قاضي القدس أن على اليهود القاطنين في المدينة تسعين خانه، فقال اليهود: أنهم في هذه الأيام، ضعفوا وفر بعضهم من المدينة، ومنهم من دخل الإسلام، عند ذلك تم حصرهم، وتقرر أن عليهم خمسين جزية[٤٠].

من هنا، يلحظ حدوث تراجع في عدد اليهود داخل مدينة القدس، وأن هذا النقص في عدد دافعي الجزية من اليهود قد يعود إلى ما ذهبت إليه الوثيقة الأخيرة، أو أن سبب ذلك يؤول إلى أمور أخرى كالتهرب والتحايل في دفع ما عليهم من ضرائب ومستحقات للدولة، ويمكن أن نعزو سبب التراجع أيضاً إلى الكوارث الطبيعية، كالزلازل والجدب الشديد والأوبئة الفتاكة

---

٣٥. س ش ٥١، ١١رمضان٩٧٧هـ/٧شباط١٥٧٠م، ص١٦١.

٣٦. المجرد: هو الفرد غير المتزوج، دفتر طابو عثماني، "موجود في مؤسسة إحياء التراث، القدس" رقم٥١٦، ص١٤-١٥؛ دفتر إجمال لواء الشام، رقم،٣١٩، ص٤٣-٤٤، موجود في مؤسسة إحياء التراث، القدس؛ من دفاتر المالية العثمانية، رقم ٤١٧٥ في كتاب خليل ساحلي أوغلي، **من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني**، اسطنبول، ٢٠٠١م،، ص٣٠-٤٠؛ كامل جميل العسلي، **وثائق مقدسية تاريخية**، ج٣، عمان(د،ت)، ج٣، ص١٥٤؛ محمد سليم اليعقوب، **ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجر/السادس عشر الميلادي**، ج٢، عمان، ١٩٩٩م، ج١، ص ٤٠، ٩٠.

٣٧. س ش القدس٨٧، أواسط شوال١٠١٥هـ/١٩شباط١٦٠٧م، ص١٠٢.

٣٨. الغرش الاسدي: نوع من النقود الفضية الهولندية، كانت الأكثر انتشاراً في القرن السادس عشر والسابع عشر الميلادي، فكان الغرش يساوي ٤٠قطعة مصرية، ومن القطعة الشامية ٨٠، ومن القطع الذهبية قطعة ونصف، وقد تأخرت الدولة العثمانية في ضرب الغروش إلى سنة١١٠١هـ/١٦٩٠م؛ بسبب الأزمات المالية المتلاحقة، ومن أنواع الغروش التي كانت معروفة الغروش العددية، كل غرش ونصف عددي يساوي غرشاً اسدياً أو ٣٠ قطعة مصرية، يبدو أن المقصود بالغرش العددي هو الغرش العثماني الذي ضرب في نهاية القرن السابع عشر، حيث كان يزن ٦دراهم أما الأسدي فكان يزن ٨دراهم، وعرف في العهد العثماني الغرش الريال خاصة في بدايات القرن الثامن عشر، وحول الغرش الهولندي الأسدي والريال يوجد منها نماذج في متحف دائرة الآثار الفلسطينية – رام ا ، تعود إلى سنة١٦٥٠م، عثر على كمية كبيرة من هذه الغروش الهولندية في بلدة قباطية قرب جنين وذلك سنة١٩٩٩م، وقد شاركت شخصياً في الحفرية الإنقاذية، س ش القدس ١٩٩، ٦جماد الأول ١١١٠هـ/١٠تشرين الثاني١٦٩٨م، ص١٨؛ المحبي، **خلاصة**، ج٢، ص١٨٥؛ Artuk,Ibrahim, Islam Sikkeler Katalogu, Cilt II , Milliegitim Basimevi, Istanbul, 1979, p. 607؛ شوكت باموك، **التاريخ المالي للدولة العثمانية**، تعريب: عبد اللطيف الحارس، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٥م، ص٢٩٤-٢٩٦.

٣٩. س ش القدس١٤٥، ٦ربيع الأول١٠٦١هـ/٢٨شباط١٦٥١م، ص١٧٨؛ س ش القس ١٥١، أواسط شعبان١٠٦٦هـ/أواخر آذار١٦٥٦م، ص٢٨١؛ اليعقوب، ناحية، ج١، ص١٤٢.

٤٠. س ش القدس١٦٢، أواسط شعبان١٠٧٣هـ/٢٥ آذار١٦٦٣م، ص٣٦٢.

كالطاعون[٤١]، كما أن الفتن وتعديات الحكام لها دور كبير في تناقص أعداد السكان بمن فيهم اليهود[٤٢].

أما النقد المستعمل لتحصيل الجزية، فتشير المصادر العثمانية إلى أن الدينار السلطاني الجديد[٤٣] كان مستعملاً في القرن السادس عشر، وبعد أن فرض الغرش الأسدي حضوراً قوياً في الأسواق آنذاك، جعلته الدولة العثمانية وحدة النقد الرسمية في تحصيل الضرائب خلال القرن السابع عشر إلى القرن التاسع عشر[٤٤].

من جهة أخرى، كان يراعى عند جمع الجزية الحالة الاقتصادية لدافعيها، وقد ظهر ذلك من خلال إحدى الوثائق التي بينت أنه يوجد ثلاث فئات: الأعلى والأوسط والأدنى[٤٥]، كانت تجمع هذه الأموال بواسطة الجزيدار[٤٦] وهو مندوب الدفتردار في دمشق، المكلف بتحصيل الأموال المستحقة على أهل الذمة في القدس الشريف ونواحيها[٤٧]. ففي سنة ١٠٧٢هـ/١٦٦٢م تسلم حسين آغا[٤٨] المبعوث من قبل دفتردار دمشق جزية اليهود قدرها ٢٧٢غرشاً أسدياً عن ٦٠جزية، منها٣٠غرشاً أسدياً أجرة لحسين آغا[٤٩].

واللافت للنظر، أنه بدأ يظهر-بشكل واضح-في أواخر القرن السابع عشر الميلادي جماعات يهودية مهمتها جمع الأموال من يهود العالم لليهود المقيمين في القدس الشريف، لدعمهم وتثبيت أقدامهم فيها، وسداد ما عليهم من دين، وحتى لا يفكروا يوماً بالخروج منها خصوصاً إذا توفرت

---

٤١. نسيبة، **اليهود**، ص١٦.

٤٢. من الأمثلة على ذلك الفتن التي حصلت في نهاية القرن السادس عشر التي ذكرها السجل الشرعي، حيث تضرر منها مختلف الطوائف في القدس الشريف، ينظر في: س ش القدس٧٩، ح٣، ٨جمادى الآخرة ١٠٠٥هـ/٦شباط١٥٩٧م، ص٢٠؛ Uriel Heyd, Ottoman Documents on Palestine Clarendon Press, Oxford,1960, p.92.

٤٣. السلطاني نسبة إلى السلطان سليمان القانوني(٩٢٦-٩٧٤هـ/١٥٢٠-١٥٦٦م)، ويساوي ٤٠ قطعة مصرية، س ش القدس ٤، ٢رجب٩٤١هـ/٧كانون الثاني١٥٣٥م، ص٥٣٤، وعن النقود المستعملة في القرن السادس عشر، ورد في سجل القدس ٥٤، أنواع كثيرة من النقود، منها: قطعة فضية سليمانية، دينار ذهبي سليم، دينار طومان باي، وقايتبائي، وذهبي خداوندكاري جلبي، ودينار ذهبي مصري سلطاني، ص١٢٦.

٤٤. س ش القدس٥٥، ١٦صفر٩٨٠هـ/٢٨حزيران١٥٧٢م، ص٦٧٥؛ س ش القدس ٢٦٤، شعبان١١٩٧هـ/تموز١٧٨٣م، ص٩٢؛ س ش القدس ٣١٣، ٣محرم١٢٤٥هـ/٣تموز١٨٢٩م، ص٣٩.

٤٥. س ش القس ١٩٤، أواسط جمادى الثانية ١١٠٤هـ/٢١شباط١٦٩٢م، ص٤٤٠؛ س ش القدس ٢٦٤، شعبان١١٩٧هـ/تموز١٧٨٣م، ص٩٢.

٤٦. الجزيدار: موظف مهمته جمع الجزية، س ش القدس ١٨٧، ٢٧ربيع الأول١٠٩٦هـ/٣آذار١٦٨٥م، ص٤؛ آق كوندوز، **التشريعات الضريبية عند العثمانيين**، ترجمة فاضل بيات، عمان، منشورات لجنة بلاد الشام، ٢٠٠٤م، ص٣٥.

٤٧. س ش القدس ١٧٨، أواخر محرم١٠٨٧هـ/أواخر آذار ١٦٧٦م، ص٢٧٥.

٤٨. أغا: هو لقب تركي بمعنى الرئيس والقائد، وقد أطلق على كبار رجال العسكر في الدولة العثمانية من الفرق المختلفة، مصطفى بركات، **الألقاب والوظائف العثمانية**، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص١٧٣.

٤٩. س ش القدس١٦١، ١٢شعبان١٠٧٢هـ/٣نيسان١٦٦٢م، ٢٥٤.

الأموال وسبل المعيشة، فقد لوحظ أن السواد الأعظم من اليهود القاطنين في القدس يعملون فقط في أمور اللاهوت والتاريخ اليهودي وهم بحاجة إلى من ينفق عليهم[٥٠]. كما أن حالة التسامح التي لاقاها اليهود خلال العصر العثماني سهلت قدوم أعداد أخرى من طوائف اليهود إلى القدس إما للزيارة وإما للإقامة[٥١].

ولا يغيب عنا ونحن-ندرس هذه الفترة-الأوضاع الصعبة التي كانت تعيشها الدولة العثمانية خصوصاً توقيعها معاهدة كارلوفتش"كارلوفجا" في ٢٤رجب ١١١٠هـ/٢٦كانون الأول ١٦٩٩م مع النمسا وروسيا والبندقية[٥٢]، التي كانت نتائجها كارثية على السلطنة العثمانية، فقد حصلت الدول الغربية على امتياز أوسع من السابق سمح لأفرادها بالتنقل بحرية، يهوداً كانوا أم مسيحيين في جميع أرجاء السلطنة، وقد استغل اليهود هذه الامتيازات في تثبيت دعائم وجودهم في القدس بشكلٍ خاص وفلسطين بشكلٍ عام[٥٣].

فقد شهدت فلسطين تحولات كان لها أبلغ الأثر في توفير الجو المناسب لليهود بأن عززوا من وجودهم في بيت المقدس وجوارها، حيث تراجع الدور الذي حظيت به القدس قبل ذلك وقل الاهتمام الرسمي والمحلي بها لاسيما في الفترة ١١٦٤هـ/١٧٥٠م-١٢٥٦هـ /١٨٣٠م أيام حكم الظاهر عمر وأحمد باشا الجزار[٥٤]، وهي الفترة التي أصبحت فيها مدينة عكا عاصمة سياسية وإدارية لفلسطين، وكذلك برزت الزعامات المحلية التي اتخذت من القرى مركزاً لها بعيداً عن المدن، وقد زاد الأمر صعوبة عدم وقوع القدس على الطُرق التجارية، رافقها انصراف عناية الدولة بها، كما لم تظهر فيها صناعات كبيرة، وكان الوارد المالي الرئيسي لها هو ما خصص لها من مال الدولة كالصرة الرومية[٥٥]، والصرة المصرية[٥٦] وما تحصل عليه لقاء خدمة الحجاج القادمين إليها.

---

٥٠. س ش القدس٨،١٨٤ذي القعدة ١٠٩٢هـ/١٨كانون الأول ١٦٨١م، ص٣٠٩.

51. Carl Baedeker, Palestine and Syria, Leipzig. 1906.p. 25

٥٢. أكمل الدين احسان أوغلي، **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، ج٢، نقله إلى العربية، صالح سعداوى، استانبول، ١٩٩٩م، ج٢، ص٦٠.

٥٣. هناك وثيقة مدونة في سجلات القدس بتاريخ ١٠٨٤هـ/١٦٧٣م، تأكيد وتجديد لما منحه سلاطين آل عثمان من عهود وامتيازات للفرنج، وقد ذُكر في نص الوثيقة أن هذا العهد السلطاني عرف **باسم الشوكة والسعادة**، س ش القدس١٧٤، أوائل رجب ١٠٨٤هـ/كانون الأول ١٦٧٣م، ص٤١٩-٤٢٣.

٥٤. Cohen, **Palestine in the 18th Century**, Jerusalem. 1973.p. 41-60؛ مناع، فلسطين، ص١٧٢.

٥٥. الصرة الرومية: الأموال التي تقدمها الدولة العثمانية لأهل بيت المقدس من العلماء والمشايخ في الحرم القدسي والفقراء والمجاورين، وعرفة بالرومية؛ لأنها تأتي من العاصمة اسطنبول، س ش القدس١٦١، ح٢، ٨رمضان١٠٧٢هـ/٢٨نيسان١٦٦٢م، ص٢١٤؛ س ش القدس٢٦١، أوائل ربيع الأول١١٩٤هـ/٧آذار١٧٨٠م، ص٨٦.

٥٦. وقد بلغت قيمة الصرة المصرية في بداية القرن الثامن عشر ٢٠٠٠٠٠ألف قطعة مصرية أو ما يعادلها بالذهب الشريفي ١٤٨٠، س ش القدس ١٩٩، ٨شوال١١١٠هـ/٦نيسان١٦٩٩م، ص٣.

*** القدس في الفكر اليهودي:**

والشيء الآخر الذي ترغب الدراسة في التعريج عليه هو مسألة التعبئة الذاتية والروحية لليهود حول القدس، فقد بات معلوماً أن اليهود كان لهم وجود ما في القدس خلال الحقب الإسلامية المختلفة، لكن ما يجب أن نوليه انتباهاً أكثر هو كيف استطاع القائمون على اليهودية أن يزرعوا في نفوس يهود العالم هذا الارتباط الأيديولوجي العقائدي على الرغم من طول الفترة التي عاشها اليهود بين تشتت وترحال وتقوقع على أفكار قائمة على الأسطورة والخيال. نقول أن ذلك يعود إلى عوامل، منها ما قام به الرحالة اليهود الذين حلوا في البلاد المقدسة خلال العصور الوسطى، وزيارتهم للأماكن والمواقع التي ترتبط بالتاريخ اليهودي بل حتى استعمال التسمية ذاتها القديمة، وعدم التنويه باسمها المستعمل في ذلك العصر، كذلك استعملوا وروجوا لبعض القصص الأسطورية التي قد تكون من نسج الخيال عن القدس ومدينة داود وهيكل سليمان، ومنها ما وصفه الرحالة اليهودي بنيامين التليطلي الأسباني الذي زار الشرق العربي في حدود ٤٥٢هـ/١١٦٠م-٤٦٥هـ/١١٧٣م [٥٧]. كذلك يحاول اليهود خلق واقع ثقافي مرتبط بالقدس ومن ذلك استخدام بعض العبارات التي اعتاد اليهود تلقينها لأطفالهم على مائدة السبت: يروشاليم شل هزهاف "قدس الذهب"، ومنها أيضاً " لتنساني يميني إن نسيتك يا أورشاليم[٥٨]".

*** وسائل التوسع اليهودي في القدس:**

وحتى يكون لهم موطئ قدم على أرض القدس –خلال العصر العثماني- تم الكشف عن مكنون العديد من الوثائق المدونة في سجلات القدس التي تظهر الأساليب التي استعملوها بحيث تتناسب والأوضاع التي يعيشونها في المدينة والتي حرصوا على أن تظهرهم وكأنهم ملتزمون بقوانين ذلك العصر والقائمون عليها، ومنها:

-**استغلال** علاقاتهم بالصدارى العظمى وتقديم الرشاوى والهدايا ليحصلوا على مراسيم يسمح لهم فيها برفع ما كان مفروضاً عليها طوال الفترات السالفة، كالسماح لهم بترميم المنازل والكُنس[٥٩]، فقد أمر القاضي بالكشف على كنيس اليهود الكائن في محلة اليهود للتحقق من أنه عمِّر وفق ما سمح لهم، وقد كشف عليه كل من حسن أفندي نائب القاضي ومصطفى جاويش مندوب أمير القدس[٦٠]. وفي وثيقة أخرى ذكرت أنه كشف على بعض المنازل التي سمح لهم بترميمها[٦١].

-**التحايل والمخادعة**، ففي عام ١٠٤١هـ/١٦٣٢م حاولوا ضم حاكورة تقع أمام كنيس اليهود،

---

٥٧. نقولا زيادة، **رواد الشرق العربي في العصور الوسطى**، بيروت، ١٩٤٣م، ص٨٥-٨٧؛ محمد مؤنس عوض، **الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية**، القاهرة، ١٩٩٢م، ص٢٧٣،٢٠٦، ٢٧٦.

٥٨. بيان نوهيض الحوت، **فلسطين، القضية، الشعب، الحضارة**، بيروت، ١٩٩١م، ص٧٤.

٥٩. س ش القدس ١٦١، ١٠شعبان١٠٧٢هـ/١نيسان١٦٦٢م، ص٢٥٨.

٦٠. س ش القدس١٠٥،١٠ربيع الأول ١٠٣٢هـ/١٢كانون الثاني ١٦٢٣م، ص٧٥٥؛ س ش القدس١٩٩، ١٣ربيع الأول ١١١١هـ/١٥آب ١٦٩٩م، ٢٥٥؛ س ش القدس ١٩٩، أواخر ربيع الأول ١١١١هـ/أوائل أيلول ١٦٩٩م، ص٢٧٤.

٦١. س ش القدس١٠٤،١٦صفر ١٠٣٠هـ/١٠كانون الثاني١٦٢١م، ص٢٤.

وهي جارية في وقف الجامع العمري الواقع بمحلة اليهود، فشيدوا عليها الجدران لإلحاقها بالكنيس المذكور، عند ذلك كشف عليها قاضي القدس الشريف وأميرها محمد باشا[٦٢]، وتم الأمر بهدم الجدار المستحدث، وإعادة تعمير الحاكورة وإلحاقها بالجامع من جديد[٦٣].

ومن محاولاتهم في هذا السياق أن متولي وقف النبي صموئيل الشيخ مصطفى العلمي ذكر لقاضي القدس أن اليهود وصلوا أكثر من مرة إلى قرية النبي صموئيل[٦٤] القريبة من القدس خلال القرن الثامن عشر ومارسوا فيها بعض الشعائر، وشوشوا على أهلها، وعندما طلب منهم قاضي القدس إيضاح تلك التصرفات، قالوا: أن معهم كتاباً سلطانياً سمح لهم فيه بزيارة مقامات الأنبياء-إبراهيم الخليل وسيدنا داود- وقد استمر اليهود في هذه الأعمال إلى أن توجه أهل القدس يتقدمهم الشيخ محمد الخليلي[٦٥] إلى السلطان العثماني لوقف ذلك، وقد تمكنوا من الحصول على مرسوم شريف يمنع اليهود من ممارسة هذه الطقوس التي تلحق ضرراً بالمسلمين[٦٦]. كذلك حاولوا إقامة بعض الطقوس والشعائر في جامع قرية المالحة القريبة من القدس[٦٧].

- التعدي على الوقف باعتباره ورقة ضعيفة، فقد أصاب الوقف خراب كبير بسبب الإهمال وسوء الإدارة، ومن ذلك ما ذُكر في حجة شرعية أن جماعة من أهل باب حطة طلبوا من القاضي

---

٦٢. محمد باشا حاكم القدس، س ش القدس ١١٩، ١٨شوال ١٠٤١هـ/٨نيسان١٦٣٢م، ص١٦٥.

٦٣. س ش القدس١١٩، ٢٥شعبان١٠٤١هـ/١٩آذار١٦٣٢م، ص١١١.

٦٤. النبي صموئيل: تقع غرب القدس الشريف، خط طول٣٥ و٦دقائق شرقاً، وخط عرض ٣١ و٤٦ دقيقة شمالاً، قسطندي أبو حمود، **معجم أسماء المواقع الجغرافية في فلسطين**، القدس، ١٩٨٤م، ص١٩٨؛ Microsoft Encarta World Atlas, 1998.

٦٥. الشيخ محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي الشافعي القادري الطريقة، جاء إلى بيت المقدس وسكن المدرسة البلدية في سنة١١٠٤هـ/١٦٩٢م،؛ الخليلي، الشيخ شمس الدين محمد بن محمد بن شرف الدين(١١٤٧هـ/١٧٣٤م) **تاريخ القدس والخليل**، حققه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه: محمد عدنان البخيت ونوفان رجا الحمود السواريه، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٣-٤٤؛ البكري الصديقي، مصطفى بن كمال الدين بن علي(١١٦٢هـ/١٧٤٩م)، **الخمرة المحسية في الرحلة الدانية القدسية١١٢٢هـ/١٧١٠م**، نسخة بحوزة الباحث مصورة من مكتبة عارف حكمة المدينة المنورة، ص٣٧؛ الحسيني، حسن عبد اللطيف(١٢٢٦هـ/١٨١١م)، تراجم **أهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري**، تحقيق سلامة النعيمات، عمان، الأردن، ١٩٨٥م،، ص١٤٥-١٥٧.

٦٦. س ش القدس١٩٩، أواسط ذي القعدة١١١١هـ/نيسان ١٧٠٠م، ص٤٥١؛ س ش القدس٢٢٧، محرم١١٤٨هـ/٢٤أيار١٧٣٥م، ص٣١١؛ مصطفى اسعد اللقيمي (١١٧٨هـ/١٧٦٤م)، **موانح الأنس برحلتي لوادي القدس**، مخطوطة بالخزانة العامة، الرباط ١٤٢ك، توجد صورة عنه في مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية رقم الشريط٦٠٢، ص ١٤٢؛ الخليلي، **تاريخ**، ص٢١.

٦٧. المالحة، تقع جنوب غرب مدينة القدس الشريف على خط طول ٣٥و٨ دقائق شرقاً، وخط عرض ٣١و٤٩ دقيقة شمالاً، **سجل أراضي لواء القدس** حسب الدفتر٣٤٢، تاريخه ٩٧٠هـ/١٥٦٢م المحفوظ في أرشيف رئاسة الوزراء باستنبول، دراسة وتحقيق محمد عيسى صالحية، جامعة اليرموك الأردن، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص١١٠؛ س ش القدس ١١٩، ١٨ذي الحجة ١٠٤١هـ/٤تموز١٦٣١م، ص٣٠٦؛ مصطفى مراد الدباغ، **بلادنا فلسطين**، ج١٠، الخليل، ١٩٧٤م، ج٨، ص١٦٦؛ Microsoft Encarta World Atlas, 1998.

الشرعي إزالة الأضرار الكائنة في وقف المدرسة الحنفية[٦٨]، والمشتملة على فرن وطاحونة التي أصبحت مأوى للكلاب[٦٩].

كما يعود سبب خراب الوقف إلى الظروف الطبيعية كالأمطار والثلوج، وأصبحت قليلة النفع، فقد استحكر اليهود بعض عقارات الوقف إجارة طويلة[٧٠]، ومنها: ما أجره عبد الرحمن الدمشقي الناظر على وقف جده الأعلى عبد القادر الدمشقي للخاخام اليهودي ابراهام ولد شعبان إجارة طويلة ما هو جار في الوقف والمشتمل على دار في محلة اليهود[٧١]. كما أجر يحيى المحسن النمري... نصف الدار الواقعة في حارة اليهود لموقاس اليهودي مدة سنتين ١١٤٩هـ/١٧٣٢م-١١٥٠هـ/١٧٣٣م[٧٢]. كما ذكر في حجة أخرى استئجار اليهود الإفرنج وقف أحمد الثوري[٧٣] إجارة طويلة بعشرة عقود؛ مدة كل عقد ثلاث سنوات بمبلغ قدره من الغروش الأسدية ١٨٠، كل سنة ستة غروش[٧٤]، واللافت في هذا الاستئجار أن حججاً كثيرة ظهرت في سجلات محكمة القدس تحدثت عن هذا الاستئجار بعد أن أخل اليهود بشروط العقد، لاسيما الشرط المتعلق بموعد دفع القسط في نهاية كل عام[٧٥]، ويبدو أن هذه المماطلة في دفع الدين كانت ظاهرة مائزة لليهود والنصارى[٧٦]، إزاء ذلك، حاول القاضي الشرعي إظهار الشدة في تحصيل الدين وذلك بإصدار قرارات-كما جاء في بعض الحجج-يأمر فيها بحبس المخالف للشرع، فقد حكم القاضي على

---

٦٨. المدرسة الحنفية (المعظمية): تقع شمال الحرم، وتنسب إلى واقفها الملك المعظم عيسى الأيوبي في سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م)، العليمي، **الأنس**، ج٢، ص٨٩؛ محمد كرد علي، **خطط الشام**، ج٦، مكتبة النوري، دمشق،١٩٨٣م، ج٦، ص١٢١.

٦٩. س ش القدس١٥٥، ١٥شوال١٠٦٨هـ/١٤تموز١٦٥٨م، ص٢٧٣.

٧٠. الإجار الطويل: وهو أن يسمح القاضي للمتولي على الوقف تأجير ما هو جار في مال الوقف فترة طويلة وعلى أن يدفع المستأجر مبلغاً مقدماً بهدف تعمير الوقف وصرف ما يحتاج إليه، وقد تصل مدة العقد إلى تسعين سنة بثلاثين عقداً، مدة كل عقد ثلاث سنوات، ينظر في: س ش القدس١١٣، ١٥صفر١٠٣٧هـ/٢٥تشرين الأول١٦٢٧م، ص٢٢٠؛ س ش القدس١١٦، ٣ربيع الثاني١٠٣٩هـ/٢٠تشرين الثاني١٦٢٩م، ص٢٢؛ وهبة الزحيلي، **الفقه الإسلامي وأدلته**، ج٨، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٩٨٩م، ج٨، ص٢٢٣-٢٢٤.

٧١. س ش القدس١٩٧،أواسط ربيع الثاني ١١٠٨هـ/تشرين الثاني١٦٩٦م، ص١٨٣.

٧٢. س ش القدس ٢٢٨، غرة محرم١١٤٩هـ/١٢أيار١٧٣٦م، ص٣٢١.

٧٣. أحمد بن عبد ا المعروف أبو ثور، حارب مع صلاح الدين، أوقف عليه الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين القرية القريبة من باب الخليل التي عرفت باسمه، سجل أراضي٣٤٢، ص١١٦؛ الدباغ بلادنا، ج٩، ق٢، ص٢١٢.

٧٤. س ش القدس ٢٢٨، ٩ربيع الأول ١١٥٠هـ/٧تموز١٧٣٧م ص٣٢٢.

٧٥. حول هذا القضية ينظر الحجج الآتية: س ش القدس ٢٢٩، ١٧شوال١١٥٠هـ/٧شباط١٧٣٨م، ص٣؛ س ش القدس٢٣٠، ١٠ربيع الثاني١١٥٢هـ/١٧تموز١٧٣٩م، ص١٦؛ س ش القدس ٢٦١، ٣جمادى الأولى ١١٩٣هـ/١٩أيار١٧٧٩م، ص١٣، أواسط ربيع الثاني ١١٩٣هـ/٢ايار١٧٧٩م، ص١٠٠؛ س ش القدس ١٦٤، أواخر جمادى الأولى١١٩٧هـ/٢ايار١٧٨٣م، ص٨، ٢٥شوال١١٩٧هـ/٢٣ايلول١٧٨٣م، ص٦٣.

٧٦. س ش القدس ٢٦٤، ١٣جمادى الثانية١١٩٨هـ/٤ايار١٧٨٤م، ص١٩٥؛ س ش القدس٢٦٦، ٢٦رجب١١٩٩هـ/٤حزيران١٧٨٥م، ص٢٥.

يهودية بالحبس مدة سبعة شهور؛ لعدم سداد الدين المستحق عليها[٧٧]، وعلى الرغم من تلك الإجراءات الشديدة ضد المتهربين من دفع ما عليهم إلا أن بعض القضايا وصلت من والي الشام بعد أن عرضت أمامه، ومنها شكوة خاخام طائفة اليهود الإفرنج في القدس على متولي وقف الصخرة المشرفة[٧٨].

كذلك استئجار اليهود عن طريق الحكر أرض الجسمانية جوار بيت المقدس-وهي من وقف الناصر صلاح الدين على المدرسة الصلاحية-[٧٩] حيث كان لليهود في بداية القرن الثامن عشر الميلادي ثلاث مقابر مستأجرة في وقف الصلاحية[٨٠]. وهذا يظهر عمق الخلاف بين الطوائف اليهودية سواء من تبعة الدولة العثمانية أو من تبعة الدول الأوروبية" الاشكنازيم والسفارديم والقرائين" حيث استقلت الطوائف بمقبرة تدفن كل منها حسب معتقداتها، كما يكشف ذلك عن تعدد الطوائف واختلاف معتقداتهم وتنوع مرجعياتهم الروحية التي تدفعهم إلى الانفصال والعزلة عن الآخر [٨١].

واستأجر اليهود من رجال العسكر:" أجر عمر آغا... جميع الدارين... بمحلة اليهود المشهورة قديماً بمحلة الشرف... مدة ثلاث سنوات لخاخام اليهود[٨٢]".

كذلك دخلوا من باب استبدال[٨٣] مال الوقف الذي كان معمولاً به في حينه، فقد استبدل الناظر على وقف فتوح الناطوري حاكورة في محلة صهيون للنصارى الأرمن، وتكرم بأرض الطور

---

٧٧. س ش القدس٢٣٣، ٦جمادى الثانية١١٥٧هـ/١٧تموز١٧٤٤م، ص١٣٢.

٧٨. س ش القدس٢٣١، ٤ربيع الأول١١٥٥هـ/٩أيار١٧٤٢م، ص٢٤٧.

٧٩. دفتر تحرير عثماني، رقم ٥٢٢، **أوقاف لواء القدس ونابلس وصفد وغزة وعجلون في القرن العاشر الهجري**، تحقيق: محمد ايشرلى ومحمد داود التميمي، استانبول، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٥٣.

٨٠. المقابر في قطعة أرض واحدة من قرية سلوان، يبدو أنه كان لكل طائفة جزء معين من هذه الأرض مخصص لدفن موتاهم، وسلوان تقع ظاهر القدس جهة القبلة يشرف عليها سور القدس القبلي، وتقع على خط طول٣٥و١٥دقيقة شرقاً، وخط عرض ٣١و٤دقائق شمالاً، س ش القدس١٥٦، ص٩٨؛ س ش القدس١٩٩، أواخر ربيع الثاني١١١١هـ/أيلول١٦٩٩م، ص٣١٦؛ أحمد المرعشلي وآخرون، **الموسوعة الفلسطينية**، مجلد٤، دمشق، ١٩٨٤م، ج٢، ص٥٨٠؛ Microsoft Encarta World Atlas, 1998.

٨١. يذكر أنه كان لليهود في القرن التاسع عشر مقبرتان في القدس، الأولى: في الطور شرق المدينة، والثانية: في سلوان جنوب شرق القدس، كانت سابقاً وقف الصلاحية، س ش القدس ٣٦٤، ٩رمضان١٢٩٣هـ/١٢تشرين الأول ٢٨٧٤م، ص١٢٠؛ William Baedker, Walk about the City and Environs of Jerusalem Summer, Canan Press, Jerusalem, 1974. p102.

٨٢. س ش القدس ٢٦٥، أوائل محرم١١٩٩هـ/١٤تشرين الثاني١٧٨٤م، ص٧٠.

٨٣. الاستبدال (الإبدال): هو استبدل عقار غامر بعقار عامر أو بمال على أن يشتري به متولي الوقف عقاراً جديداً، ويقبل القاضي هذا الاستبدال بعد أن يرى أن شروط ذلك قد تحققت، ومنها: صعوبة تعميره، أو تعذر إيجاد من يستأجره إجارة طويلة، أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، **رفع الإصر عن قضاة مصر**، تحقيق، حامد عبد المجيد وآخرون، ج٢، (د،ت)، ج٢، ص٢٤٦؛ س ش القدس ١٢٩،٢٧صفر ١٠٥٠هـ/١٦حزيران١٥٤٠م، ص٩٩-١٠١؛ السيد سابق، **فقه السنة**، ج٣، الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٨م، ج٣، ص٣٨٦.

لليهود، وقد رهن اليهود نظير ثمن العقارات المذكورة داراً لليهود بمحلة الشرف[٨٤].

وثمة حركة بيع وشراء عادية بينهم، ومنها ما اشتراه مردخان بن يعقوب اليهودي الدباغ من أخيه سليمان جميع الدار بمحلة اليهود[٨٥]. وأشارت حجج أخرى إلى أن القسم الأكبر من الأراضي التي سيطر عليها اليهود في القدس آتية عن طريق البيع الوفائي[٨٦]، ومنها شراء نصف دار في حارة الشرف القريبة من قلعة القدس من أحد أفراد الينكجرلية[٨٧] في القدس الشريف[٨٨]. كما اشترت زينا بنت عزرا داراً في محلة اليهود بمبلغ قدره ٣٠٠غرش أسدي[٨٩].

وبعض ما كان يشتريه اليهود كان يوقف لصالح طائفة اليهود في القدس وللزوار؛ خشية التلاعب به، ومن ذلك، ما ذكرته حجة تعود إلى القرن السادس عشر وفحواها أن ناظر وقف منارة جامع حارة اليهود[٩٠]، قال أمام القاضي: إن الجاري في الوقف أربعة حوانيت تحت يد اليهود، يطلب رفع يدهم عنها، فقال المتكلم على الحوانيت، أنه تم شراء الحوانيت منذ سنة٧٥٥هـ/١٣٥٣م من وكيل بيت المال آنذاك، وخوفاً من ضياعها قام المشتري بوقفها على اليهود القاطنين في القدس والقادمين اليها[٩١].

وكان من يرغب في وقف عقار يصر على أخذ سند رسمي من القاضي يضمن فيه حق الطائفة في العقار، فقد أوقف يهودي نصف دار في محلة النصارى، وطلب اليهود الحاضرون من القاضي سنداً في ثبوت هذا الوقف، وتذكر الحجة:" فسطر لهم هذا الصك، ليكون سنداً بأيديهم[٩٢]".

كما استهدف اليهود شراء العقارات الملاصقة لأماكنهم الدينية لإحداث توسعة فيها، فقد ورد في وثيقة شراء اليهود بيتاً ملاصقاً للكنيس الكائن في حارة اليهود وضموه إليه[٩٣].

ومن الأمور التي يمكن أن نلحظها في ما مر ذكره أن تركيز اليهود في جميع معاملاتهم من بيع أو شراء أو استبدال وتأجير كان على حارة اليهود وحارة المغاربة إي في المنطقة الغربية من

---

٨٤. س ش القدس١١٩، ٥رجب١٠٤٠هـ/٢٦كانون الثاني١٦٣١م، ص٢١.
٨٥. س ش القدس٥١، ١٧رجب٩٧٥هـ/٣كانون الثاني١٥٦٨م، ص١٠٤.
٨٦. البيع الوفائي: البيع مع اشتراط حق الاسترداد، بأن يلتزم فيه المشتري بعد البيع التام أن يعيد المبيع إلى البائع مقابل رد الثمن. ويجوز أن يكون موضوع البيع الوفائي أشياء منقولة وغير منقولة. س ش القدس٣٥٩، ٢٣ربيع الأول ١٢٨٨هـ/٢٣حزيران١٨٧١م، ص٥٣.
٨٧. الينكجرلية: هي العساكر العثمانية الجديدة النظامية المعروفة بالانكشارية كانت تعسكر هذه القوات في قلعة القدس الشريف، إبراهيم خليل أحمد، **تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني**، جامعة الموصل، ١٩٨٣م، ص٧٨.
٨٨. س ش القدس١٩٣، ٦ شعبان ١١٠٣هـ/٢٣نيسان١٦٩٢م، ص١١.
٨٩. س ش القدس١١٩،١٠صفر ١٠٤٢هـ/٢٧آب ١٤٣٢م، ص٤١٥.
٩٠. جامع حارة اليهود: يقع في وسط حارة اليهود، ويعرف بالجامع العمري، ذكرته السجلات بجامع المئذنة، سجل الأراضي ٣٤٢، ص١١٦؛ س ش القدس١٠ربيع الثاني١٠٦٩هـ/٥كانون الثاني١٦٥٩م، ص١٩٩؛ عارف العارف، **المفصل في تاريخ القدس**، عمان، ٢٠٠٧م، ص٧١٦.
٩١. س ش القدس ٥٣، ١٠محرم٩٧٨هـ/١٤حزيران١٥٧٠م، ص٣٣٩.
٩٢. س ش القدس٢٦١، ٢٣رجب١١٩٣هـ/٦آب١٧٧٩م، ص٣٥.
٩٣. س ش القدس١٩٧، ١٥رمضان ١١٠٨هـ/٧نيسان١٦٩٧م، ص٣٩٥.

الحرم القدسي وهي المنطقة التي يقع فيها حائط البراق والتي لهم فيها اعتقاد وموروث ديني، وبالتالي يبدو أن أي تحرك أو عمل لليهود كان يأخذُ بعداً دينياً وعقائدياً، أي أن استملاك أي عقار في القدس لم يكن عفوياً بل كان مبرمجاً له من قبل المرجعيات الدينية لليهود. وقد يسأل سائلٍ هل فعلاً كان هذا بناء على تخطيط أم محض صدفة؟ نقول: أن اعتمادهم هذا السبيل يعود إلى أمور منها: التركيز على وحدة التاريخ اليهودي وإيمانهم بالعهد القديم وأنه لا حياة لهم ولن يرضى عنهم الرب إلا إذا عادوا إلى أورشليم وأقاموا دولة داود وسليمان وعمروا الهيكل (Temple)، من جهة أخرى هناك (عقيدة الانغلاق) وهي حياة العزلة والانزواء عن الآخر التي عاشها اليهود في أوروبا بعيدين عن كل عناصر التواصل الثقافي والحضاري في أوروبا، وقد قامت هذه العقلية على تقسيم شعوب العالم تقسيماً ثنائياً حاداً، اليهود الأخيار والآخرين الأغيار (أشرار). من هنا، كان التراث اليهودي –الأسطوري-المسير والموجه للعقلية اليهودية لهم ولا يمكن لهم البقاء والاستمرار إلا من خلاله[٩٤].

والشيء الآخر الذي لا يقل أهمية عن ما ذكر أنهم عملوا في قطاعات حساسة لا غنى لأهل القدس عنها؛ من أجل اختراق البنية الاجتماعية للمجتمع المقدسي ومعرفة مدخلاته ومخرجاته، ومن ذلك أنهم تاجروا بحاجات يومية للسكان، وقد ساعدهم في ذلك سهولة تنقلهم في البلاد لأنهم يتقنون اللغة العربية، وقد تمكنوا من السيطرة على كثير من الصناعات الحرفية في القدس مثل المنسوجات وصياغة المجوهرات والصرافة[٩٥]، كذلك مهروا في بعض المهن كالطب وقد وصل بعضهم إلى منصب رئيس الأطباء(الجراحين) في المدينة[٩٦].

وكان يتم تنصيب شيخ الطائفة الحرفية أمام قاضي محكمة القدس الشريف، وتتلخص مهمة الشيخ أو المتكلم في تصريف أمور الطائفة وتمثيلهم أمام القاضي، ومن الحجج التي تتحدث عن اليهود الصاغة، الوثيقة التالية:" بحضور الشيخ ناصر الدين، شيخ الصياغ، كفل فرج ولد عبد الغفار اليهودي، وداود ولد فرج ا اليهودي الصايغ، في صنعة الصياغة، متى ما انهزم أو طلب منه أن يحضر، وإن عجز عن إحضاره، يكن قائماً بما عليه للناس من الإشغال[٩٧]".

كذلك استغل اليهود أموالهم بإقراضها لسكان القدس مقابل رهن عقاراتهم، ومن ذلك ما تم رهنه

---

٩٤. المسيري، موسوعة، ج٣، ص٢٠٥؛ أحمد طربين، **فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار**، ١٩٧٠م، د، ت، ص٢٩-٣١.

٩٥. س ش القدس ١٠٢، ختام جمادى الثاني ١٠٢٨هـ/١٣حزيران١٦١٩، ص٤٤؛ س ش القدس١١٩، ٤ رمضان١٠٤١هـ/٢٥ آذار ١٦٣٢م، ص ١١٨؛ س ش القدس ٣٦٩، ٢٦شعبان١٢٩٩هـ/١٨حزيران١٨٨٢م، ص١٩٩؛ Luncz ,A.M.(Hrsg): Jerusalem jahrbuch zur Beforderung einer Wissenschaftlich genauen Kenntniss desjetzigen und des alten Palastinas, 1(1881). Wien 1882,40F؛ شولش، **تحولات**، ص١٥٩؛ المسيري، **موسوعة**، ج٤، ص٢٥٣؛ الشناق، **العلاقات**، ص ٢٠٩.

٩٦. س ش القدس٣،١٥٦محرم١٠٦٩هـ/٣٠أيلول ص٤٤؛ س ش القدس٢٦٥، ٣شوال١١٩٨هـ/٢٠آب١٧٨٤م، ص٣٥؛ المسيري، **موسوعة**، ج٤، ص٢٥٣.

٩٧. س ش القدس١١٩، ٤رمضان١٠٤١هـ/٢٥آذار ١٦٣٢م، ص١١٨.

تحت يد الدائن إبراهيم بن مردخاي بن هارون السكناجي المقيم في القدس سبع حصص من ٢٤حصة في جميع الدار بالقدس.... مقابل دين على السيد عبد اللطيف بن الحسيني[٩٨].

فالمصادر أشارت وبشكل واضح لا يقبل التأويل أنهم حاولوا تجاوز بعض ما كان مرسوماً لهم من مواثيق وعهود، ومن ذلك حادثة دخول طبيب يهودي إلى ساحات الحرم الذي اعتبر في حينه خرقاً صارخاً وتدنيساً للحرم، والتي ثار على إثرها أتباع الشيخ منصور المحلاوي[٩٩]، وكان الطبيب اليهودي قد حضر إلى المدرسة القايتبائية-الكائنة في الجدار الغربي للحرم-من الباب الخارجي –على حد وصف الوثيقة – بعد أن استدعي لمعالجة وفد قادم للزيارة من اسطنبول؛ لإصابتهم بمرض مفاجئ، وما أن تناهى إلى مسامع الشيخ المحلاوي أمر دخول اليهودي المذكور، حتى أوعز لجماعته-الذين كان محل إقامتهم في رواق المسجد الأقصى، أسفل صحن الصخرة المشرفة-بمحاصرة المدرسة والثورة على من سمحوا بتدنيس أرض الحرم ببراثن اليهود، وليس ذلك فقط بل ذهب الشيخ إلى أبعدِ من ذلك، عندما أفتى بالسماح بقتل كل من وجد من اليهود في القدس الشريف [١٠٠].

بعد ذلك قُبض على الشيخ وحوكِم أمام الأعيان والوجهاء في بيت المقدس، وكان طرح الوفد التركي-القادم لزيارة بيت المقدس-بقتل الشيخ المحلاوي، لكنهم اكتفوا بنفيه من القدس وعدم دخوله لاحقاً. إلا أن الشيخ المحلاوي رفض هذا القرار، ورفع دعوى أمام والي دمشق الشام على عمر اللطفي مفتي الشافعية في القدس بأنه أفتى بطرده من بيت المقدس، وكان رد الأخير أمام القاضي أن الشيخ منصور كان قد أعطى اليهود مهلة ليخرجوا من مدينة القدس الشريف، وسمح لجماعته بقتلهم وسلب أموالهم بعد انقضاء المدة المحددة[١٠١].

*** عهد جديد وآثار بعيدة المدى :**

ظهرت هذه التحولات مع بدايات القرن التاسع عشر، فقد شهدت فلسطين تغيرات عديدة ومختلفة شكلت منعطفاً مهماً في تاريخ فلسطين الحديث عامة والقدس خاصة، أبرزها دخول القوات المصرية إلى فلسطين بقيادة إبراهيم باشا، حيث بدأت الإدارة الجديدة سن القوانين ورفع الضرائب عن كاهل الطوائف الذمية، وسمح لهم بتعمير ما هدم من كنائسهم وأديرتهم، كما توسعوا في مزاولة البيع والشراء، وقد استغل اليهود حالة التسامح التي نهجها محمد علي باشا أثناء حكمه لبلاد الشام فقويت شوكتهم، وقد عبر اليهود عن ذلك عندما طالبوا الحكام ببعض التسهيلات من

٩٨. س ش القدس٣٧٠، ٢٥صفر١٣٠٠هـ/٥كانون الثاني١٨٨٣م، ص١١٣.

٩٩. منصور بن علي السطوحي المحلى المصري نزيل القدس والشام، الصوفي الشاذلي، المحبي، **خلاصة**، ج٤، ص٤٢٣-٤٢٥.

١٠٠. س ش القدس١٣٣، ١٨جمادى الثانية١٠٥٢هـ/١٤أيلول١٦٤٢م، ص٢؛ س ش القدس١٣٥، ٧جمادى الأولى١٠٥٥هـ/١تموز١٦٤٥م، ص٤٩٩؛ س ش القدس١٣٥، ١٨جمادى الأولى١٠٥٥هـ/١٤تموز ١٦٤٥م، ص٥٦٠-٥٦١.

١٠١. المحبي، **خلاصة**، ج٤، ص٤٢٤.

شراء للأراضي والمعاصر أو تبليط لحائط البراق، لكن مجلس شورى القدس رفض ذلك جملة وتفصيلاً لأنه يتعارض مع المعاهدات السابقة، ولأن القدس أرض وقفية وأميرية، وكان مجلس شورى القدس أيام الحكم المصري هو المخول بإصدار الأحكام على القضايا من هذا النوع، من جهة أخرى كان هناك عامل آخر ساعد في تعزيز الوجود اليهودي في القدس والمتمثل بالدول الأجنبية التي منحها الحكم المصري حرية واسعة في البلاد الخاضعة للحكم المصري، فكانت خير معين لليهود[١٠٢].

واللافت أن الدول الأجنبية ساندت هذا المشروع منذ وقتٍ مبكر، فهذا نابليون بونابرت١٢١٦هـ/١٧٩٩م، عندما بدأ يعِد العدة لغزو الشرق، وجه نداء إلى يهود العالم للعودة إلى القدس وفلسطين، وكان يهدف من وراء ذلك إلى تحقيق أهدافٍ دينية وسياسية، فبالأولى يخاطب فيها المعتقدات المسيحية القائلة أنه لا بد من رجوع اليهود إلى فلسطين وتنصيرهم لعودة المسيح المخاص-وقد عرف هذا التيار فيما بعد بالصهيونية المسيحية-أما السياسي، فيتمثل بكسب اليهود أصحاب القوة المالية الهائلة إلى جانبه في حربه ومخططاته القادمة[١٠٣]، لكن هذه الدعوة لم تلقَ نجاحاً بين أوساط اليهود، كما أنهم لم يساندوها؛ لأنها جاءت في مرحلة افتقر اليهود فيها لمؤسسات أو تنظيم يرعى المشروع النابليوني ويطوره، وسبب آخر أدى إلى وأد هذا المشروع أن نابليون تحطمت مشاريعه في الشرق أمام بوابات عكا التي انتهى أمامها كل شيء[١٠٤]، وارتد عنها مقهوراً مدحوراً.

*** القنصليات الأجنبية واليهود:**

برز في هذه المرحلة دور القنصليات الأجنبية التي سمح لها بنشاطات واسعة على أرض فلسطين، وهو أمر لم يحصل قبل هذا التاريخ[١٠٥]، فقد شهد عام١٢٥٤هـ/١٨٣٨م رفع علم القنصلية البريطانية في مدينة القدس، وما يعنينا في موضوع البحث أن هذه القنصلية أخذت على عاتقها حماية طائفة اليهود في القدس إلى جانب طائفة البروتستانت المسيحية، وفي هذا الإطار برز دور جمعية لندن التي أخذت على عاتقها مساندة اليهود، والعمل على عودتهم إلى فلسطين، ومن ثم تنصيرهم؛ ولتحقيق ذلك حرصت الجمعية على تنصيب أول أسقف للأسقفية الأنكليكانية في القدس من اليهود المتنصرين وهو ميشيل سلمون الكسندر، وعندما وصل إلى القدس

---

١٠٢. س ش القدس٣٢١، محرم١٢٥٣هـ/٧نيسان١٨٣٧م، ص٩٦؛ أسد رستم، **محفوظات الملكية المصرية**،٤مجلدات، بيروت، المطبعة الأمريكية، ١٩٤٣م، م٣، ص٦٥-٦٦، مج٤، ص٢٨؛ مناع، **تاريخ**، ص١٥٨.

١٠٣. الحلاق، **موقف**، ص٤٣-٤٦؛ صبري جريس، **تاريخ الصهيونية ١٨٤٨-١٨٦٢م**، ج٣، القدس، ١٩٨٧م، ج١، ص٢٥.

١٠٤. أحمد سوسة، **العرب واليهود في التاريخ**، ط٧، دمشق، (د.ت)، ص٧١٨.

١٠٥. كامل جميل العسلي، **وثائق مقدسية تاريخية**، ج١، ص٢٨٦-٢٨٩؛ شولش، تحولات، ص١٤٧-١٤٨.

عام١٢٥٧هـ/١٨٤١م عمد عدداً من العائلات اليهودية[١٠٦].

كما دشنت القنصلية البروسية سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م، والفرنسية ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م، والأمريكية١٢٦٠هـ/١٨٤٤م، والنمساوية١٢٦٥هـ/١٨٤٩م والروسية١٢٦٤هـ/١٨٥٨م، لقد سهلت هذه القنصليات دخول اليهود الأجانب إلى فلسطين ومن ثم تذليل العقبات التي كانت تحول دون امتلاكهم للأراضي كتسجيل الأرض وإخراج المستندات، وهذه الحماية أو الوصاية إن جاز وصفها كانت بمثابة نقلة أو قفزة جديدة في وضع اليهود في مدينة القدس، فلم تعد تحت رحمة هذا الطرف أو ذاك بل أصبح اليهود أكثر ثقة من ذي قبل لاسيما رعايا الدول الأجنبية، ويذكر أن الوثائق ميزت بين يهود القدس واليهود الأوروبيين فوصفتهم" اليهود الموسوية العثمانية[١٠٧]".

وما أن عاد الحكم العثماني إلى القدس عام١٢٥٦هـ/١٨٤٠م حتى تعزز الوجود اليهودي أفضل من السابق، ويعزى ذلك إلى تنامي التغلغل الأجنبي متعدد الوجوه والأبعاد[١٠٨]، كما أن الحالة التي وصلت إليها الدولة العثمانية من ضعف وهزال والتي عرفت تاريخياً(الرجل المريض)، إضافة للمساعدات التي قدمتها الدول الغربية لها جعلتها أداة مطواعة في يد الدول الأوروبية[١٠٩].

كما لا يفوتنا أن نذكر الدور الكبير الذي قدمته بعض الجمعيات العالمية كجمعية الإليانس الفرنسية[١١٠] التي هدفت إلى إنشاء المستوطنات ذات الطابع الزراعي في فلسطين؛ لتعليم اليهود القادمين من الخارج العمل الزراعي بوصفه وسيلة من وسائل الاستقرار على هذه الأرض، وقد تمكنت هذه الجمعية من تنفيذ أول مشروع لها في عام ١٢٩٨هـ/١٨٨١م عندما حصلت على مرسوم سلطاني يسمح لها بإنشاء المكتب الزراعي في قضاء يافا وقد عرفت المستوطنة بـ"مكفيه يسرائيل[١١١]".

أما البارون دي روتشلد فقد أخذ على عاتقه الشخصي تمويل المشروع المتمثل بشراء

---

106. *"S.A. BONEBAKKER"* "**AL-KUDS**", *E I*^{2}, vol. 5, p. 335؛ Gidney, M.A The History of the London Society for Promoting Christianity Amongst the Jews, from 1809-1908, London. 1980. p. 9-10؛ عبد الرؤوف سنو، **المصالح البريطانية في سوريا وفلسطين**، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٨،٣٨.

١٠٧. س ش القدس ٤٠٤، ١٣ رجب ١٣٢٧هـ/١٩تموز١٩٠٩م، ص١٥-١٦.

١٠٨. شولش، **تحولات**، ص٥٩؛ مناع، **فلسطين**، ص١٥٩،١٨٦-١٨٨؛ نافع، **الإمبريالية**، ص٤٩-٥٢؛ **القدس**، موجز دائرة المعرف الإسلامية، ج٣٣، ط١، الشارقة، ١٩٩٨م، ج٢٦، ص٨١٣١.

١٠٩. شولش، **تحولات**، ص٧٦.

١١٠. من أوراق الباب العالي. **B.E.O.NO.2229472** رسالة من متصرفية القدس إلى الصدارة حول مدير مكتب الإليانس في القدس ٢٣ربيع أول ١٣٢٥هـ/٢٣نيسان١٩٠٧م؛ عبد الكريم رافق، **فلسطين في عهد العثمانيين**، من مطلع القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي١٣٣٦هـ/١٩١٨م، ضمن الموسوعة الفلسطينية، مجلد٢، بيروت، ١٩٩٠، ص٨٦٨.

١١١. حبيب قهوجي، **استراتيجية الاستيطان في فلسطين المحتلة**، دمشق، دائرة الإعلام، مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، ط١، ١٩٧٨م، ص٤٩،٧٧؛ عبد الرحمن أبو عرفة، **الاستيطان التطبيق العملي للصهيونية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الخليل، ط١، ١٩٨٩م، ص٤١-٤٥.

الأراضي، وتوطين اليهود فيها، الذي يعد أكبر ممول للمشروع الاستيطاني في فلسطين كلها أواخر القرن التاسع عشر الميلادي؛ لأنه أسهم إسهاماً فاعلاً في شراء الأراضي، ومن ثم إنشاء المستوطنات الزراعية، وشجع المهاجرين اليهود على الإقامة في هذه المستعمرات؛ لإيجاد جيلٍ جديد يؤمن بالأفكار القومية التي ينادي فيها[١١٢].

إزاء هذه الأوضاع بدأت الدولة العلية بوضع القوانين والتشريعات لتنظيم البلاد[١١٣] من جديد وفق المنهج الغربي، وقد عرفت هذه المرحلة بعهد التنظيمات[١١٤]، حيث جاءت متناغمة مع رؤى بعض الدول الأجنبية التي حرصت على مساندة المشروع اليهودي في فلسطين، فنجم عن الموقف الغربي الداعم لليهود أن زادت الهجرات اليهودية إلى القدس خصوصاً وفلسطين عموماً بطرق مختلفة إما بشكل علني وقانوني وإما خلسةً، كما توسع اليهود في شرائهم للأراضي في القدس ومحيطها لاسيما على طريق يافا القدس جهة باب الخليل إضافة لمناطق أخرى قريبة من باب العامود[١١٥]، وبرعاية القنصليات والرعايا الأجانب بدأت تظهر متابعات القناصل لقضايا البيع والشراء[١١٦] التي استعملت أساليب متنوعة لتحقيق ذلك بما فيها التحايل في إبرام عقود الشراء وبشكل غير شرعي، ومنها أن تبرم العقود خارج المحاكم الشرعية، وإذا سجلت بالمحاكم-لا محالة-تكون بأسماء رعايا تابعين للدولة العثمانية، فقد ساند القنصل البريطاني "فين" في عام١٢٦٧هـ/١٨٥٠م عملية تحايل نفذها اليهودي "شلومو يحزكيئيل يهودا" تهدف إلى وضع يده على قطعة أرض قريبة من القدس[١١٧].

من جانب آخر، استهدف اليهود شراء كل ما يعرض للبيع من الأراضي والعقارات المشتملة على المنازل والمعاصر والحواصل[١١٨] والطواحين والحواكير والكروم والمزارع[١١٩].

واللافت عند حصر قضايا البيع لليهود في هذه المرحلة أنها في معظمها استهدفت المنطقة المحاذية لسور المسجد الأقصى الغربي(حارة اليهود والمغاربة والشرف)، كما أنهم توسعوا في

---

١١٢. دان جلعاوي، **رونتشلد، الموظفين والمستوطنات الأولى في فلسطين**، كاثدرا، القدس، ١٩٧٦م، ص٦١-٦٢؛ الشناق، **العلاقات**، ص٣٠١-٣٠٥.

١١٣. عبد العزيز محمد عوض، **مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث ١٨٣١-١٩١٤م**، بيروت، ١٩٨٣م، ص٤٨؛ مناع، فلسطين، ص١٩٧-١٩٨.

114. E.K.Karal, Osmanli, Nizam-I Cedit Ve Tanzimat Oevirleri, 1789-1856.Vol 1.8-ANKARA.1956.

١١٥. حصولهم على أراضي قرية يازور القريبة من يافا حيث قام الاتحاد العالمي الإسرائيلي (الإليانس) بالحصول عليها للإقامة مستوطنة زراعية لليهود، محمد حسين محاسنة وآخرون، **تاريخ مدينة القدس**، عمان، ٢٠٠٢م، ص٢٥٠.

١١٦. **ملفات القنصلية البريطانية** رقم 793/20f، نمرة٢٣، ٦نيسان ١٨٦٩م؛ الحلاق، **موقف الدولة العثماني**، ص٤٢؛ B.Abu-Manneh, J**erusalem in the Tanzimat Period**, the New Ottoman Administration and the Notables, Die welt des Islams. Vol, xxx, 1990.p.38-44.

١١٧. جريس، **تاريخ**، ص٨٠.

١١٨. س ش القدس٣٥٩، ٢٤ذي القعدة ١٢٩٠هـ/٢٨كانون الأول١٨٧٣م، ص١١٩.

١١٩. س ش القدس ٣٦٠، ٢١رمضان١٢٨٩هـ/١٤تشرين الثاني١٨٧٢م، ص٣٤٤.

حارات أخرى بشكل أكثر مثل حارة باب العمود[١٢٠]، وهذا يظهر أن الباب أصبح مفتوحاً لليهود بالتملك في جميع أنحاء المدينة دون قيدٍ أو شرط، ومنها ما جاء في الحجة التالية: " اشترى ابراهيم بن هارون اليهودي المقدسي المستوطن بالقدس تبعة دولة فرنسا من البائع...جميع الدار...القائمة بمحلة الواد بخط حمام السلطان...[١٢١]"

ومن الأهمية بمكان القول، أن الاستهداف اليهودي للقدس لم يستثن حتى محيطها(خارج السور) فقد كشفت السجلات الشرعية عن عدد ليس قليلاً من حجج اشترى اليهود فيها أرضاً خارج سور المدينة لاسيما غرب المدينة وشمالها، فقد اشترت ناصير بنت سيرين السكناجي من... جميع الكرم والدار الواقعة خارج السور جهة باب الخليل[١٢٢].

والبيع الوفائي كان وسيلة أخرى في هذا العهد لتوسيع سيطرتهم على أرض القدس، مستفيدين من سوء الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للسكان، فعندما يصل الحال بصاحب العقار إلى عدم قدرته على سداد الدين فيضطر إلى البيع، ويتم هذا البيع في حالة عدم قدرة صاحب العقار على تسديد ما عليه من دين مما يضطره لبيع جزء من العقار أو جله لليهود إيفاء للدين الذي أخذه منهم[١٢٣].

وقد طال الاستئجار مال الوقف الإسلامي، فإن المستأجر اليهودي يدفع ما يترتب عليه من استئجار الوقف المستأجر كل عام ومع توالي السنوات يحدث اليهودي على الوقف إصلاح أو تعمير، وقد ذكرت العديد من الوثائق التي تشير إلى بعض أموال الوقف التي أصبح لليهود الحق في بيعها أو التصرف بها، ومنها ما باعه أولاد خليل الصياد الطوري، موسى وخليل، الكرم من جملة وقفية والدهم المتوفي لليهود[١٢٤].

*** قانون تملك الأجانب:**

جاء قانون تملك الأجانب[١٢٥] الذي أصدره الباب العالي عام ١٢٨٤هـ/١٨٦٧م؛ ليفتح لليهود

---

١٢٠. س ش القدس٣٥٩، شعبان١٢٨٩هـ/تشرين الأول ١٨٧٢م، ص٦٣.

١٢١. س ش القدس٣٦٤، ١٧رمضان ١٢٩١هـ/١٠تشرين الأول١٨٧٤م، ص١٢٨.

١٢٢. س ش القدس٣٦٠، ٢١رمضان ١٢٨٩هـ/٢٣تشرين الثاني١٨٧٢م، ص٣٤٤.

١٢٣. س ش القدس٣٤٤، أواسط صفر ١٢٧٨هـ/أواخر آب١٨٦١م، ص١٩٠؛ س ش القدس٣٥٩، ٢٣ربيع الأول ١٢٨٨هـ/٢٣حزيران١٨٧١م، ص٥٣.

١٢٤. أرشيف مؤسسة إحياء التراث، القدس، ملف رقم٤/٣، ١٣/٣٠٢/١١

١٢٥. وقد جاء في القانون:" صورة الخط الهمايوني، ليعمل بموجبه، قد تقررت هذه المرة بالإرادة السنية، المواد القانونية الآتية: بناء على أن تكون مداراً لتوسع الثورة والعمران في ممالك الدولة العلية، وعلى أن تكمل القضية الملتزمة التي هي أمنية الملك والمال بأن يجعل تصرف الأجنبيين في الأملاك في الممالك السلطانية تحت ضابطية حسبة، ونظام سديد..." وأضاف الدستور في مادته الأولى:" تبعة الدول الأجنبية إذن لهم أن يستفيدوا من حقوق تصرف الأملاك...في كل طرف من أراضي الممالك السلطانية ما عدا الأراضي الحجازية...". الدستور، ج٢، ترجمة نوفل أفندي نعمة ا ، مراجعة خليل أفندي الخوري، المطبعة الأدبية، بيروت، ١٣٠١هـ، ج١، ص٦٨؛ عبد ا الطيباوي، **الأوقاف الإسلامية بجوار المسجد الأقصى بالقدس وأصلها وتاريخها واغتصاب**

نافذة جديدة؛ وليحققوا من خلاله بعض طموحاتهم، فقد سمح القانون للأجانب بحرية التملك في جميع البلاد العثمانية باستثناء الحجاز، حيث عبرت هذه الدول عن رضاها من هذا القرار بأن أوعزت إلى سفرائها بضرورة الإسراع في التوقيع على هذا المرسوم؛ لأنه يسمح لهم بالتملك دون الرجوع إلى استنبول في ذلك[١٢٦]، وقد أطلق هذا القانون العنان للدول الأجنبية في التملك وأعطاها حرية أكثر من السابق لاسيما في مساندتهم لليهود[١٢٧].

وفي هذا السياق بدأت تظهر حجج البيع المدونة في سجلات القدس من هذا النوع مرسوماً فيها ما تم تعميمه من مراسيم في هذا الخصوص، ومن أمثلة ذلك:" بعد صدور المضبطة من مجلس إدارة متصرفية القدس بناء على الرخصة الصادرة بحق التمليك لرعاية الدولة حسب التنظيمات المؤسسة هذه، اشترى الخواجة بنسيون ليونه داود السكناجي تبعة انجلترى من بائعه السيد والوكيل عن السيدة... وعن شقيقته... بشهادة مختار محلة الشرف عباس بن عمر البشيتي... جميع الحصة الشائعة وقدرها أربعة قراريط[١٢٨] وسبعة أثمان القيراط من أصل ٢٤قريطاً من جميع الدار القائمة البناء بمحلة الشرف[١٢٩] بساحة المساكين[١٣٠]".

***الاستيطان في باب الخليل:**

في ظل المتغيرات العالمية آنذاك لم يعد موضوع شراء قطعة أرض هنا أو هناك هدف لزعماء اليهود، فبعد الزيادة المتواصلة لليهود داخل أسوار المدينة بدأوا بدعم فكرة بناء مساكن أو أحياء خارج سور المدينة، وقد استهدف اليهود بمشاريعهم الاستيطانية هذه منطقة باب الخليل" غرب وشمال غرب المدينة" وربما يعود ذلك إلى أن هذه المنطقة قريبة من الحي اليهودي داخل السور وهذا يسهل عملية التواصل الاجتماعية والاقتصادية بين من هم داخل السور وخارجه من اليهود، كما أن المنطقة المذكورة تتميز بموقعها حيث تنبسط قمة الجبل مما يسهل الانتقال إلى بقية المناطق المحيطة بالقدس. وقد سارع رواد المشروع اليهودي من أمثال موسى منتفيوري وبالمرستون[١٣١] إلى تنفيذ بعض ما

إسرائيل لها، ترجمة عزت جردات، منشورات وزارة الأوقاف والمقدسات الإسلامية، عمان، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٨٧-٧٩.

١٢٦. س ش القدس ٣٥٧، ١٢ ربيع الأول ١٢٨٧هـ/١٣حزيران١٨٧٠م، ص٣٤٣؛ يوسف الحكيم، **سورية والعهد العثماني**، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٦م، ص٢٣؛ الشناق، **العلاقات**، ص٣٢٦.

١٢٧. ملفات القنصلية الألماني، ملف رقم 449/411/f.448/405/f،ورقم 1625-1305، نسيبة، **اليهود**، ص٦٢.

١٢٨. القيراط: وحدة قياس، عن طريق تقسيم الكل على ٢٤، سواء كان ذلك عقار أو أرض أو حيوان، كما قسم القيراط إلى ربع ونصف وثلث، وإلى أجزاء كالثمن والسدس والخمس، عطا ا ، وثائق، ج١، ص٥٢.

١٢٩. محلة الشرف: من محلات القدس تقع غرب الحرم قرب حارة المغاربة، س ش القدس٣٨٠، ذي الحجة١٣٠٨هـ/٨تموز١٨٩١م، ص٧٩.

١٣٠. س ش القدس٩،٣٥٦صفر ١٢٨٥هـ/٢حزيران١٨٦٨م، ص٩٩.

١٣١. بالمرستون: رئيس وزراء بريطانيا خلال هذه الحقبة الزمنية،

Isaih Friedman, Lord Palemerston and the Protection of the Jews in Palestine (1839-1851), Journal of Jewish Social Studies, p. 26. عبد العزيز عوض، **مقدمة في تاريخ**، ص٦٩.

طمحوا له[١٣٢]، فاستطاع منتفيوري من شراء قطعة أرض قرب باب الخليل أقام عليها أول مشروع لحي يهودي خارج أسوار المدينة المقدسة عرف" مشكنوت شأنانيم" في حدود عام١٢٧٢هـ/١٨٥٥م، وقد كان هدف المشروع في البداية إقامة نُزل ومستشفى لكنه عدل عنه وأقام حياً استيطانياً لليهود، وبعد موت منتفيوري أخذت اسمه تخليداً له وعلى ما قام به من خدمة لليهود[١٣٣]. كان هذا المشروع بمثابة قفزة نوعية في مسيرة التغلغل اليهودي في القدس والمتمثل بتشجيع الاستيطان اليهودي في القدس ومحيطها لاسيما باب الخليل، وقد حاول هؤلاء إيجاد خرق في المواقف السياسية والدينية للدولة العثمانية القائمة على تحديد الوجود اليهودي في بيت المقدس وفق المعاهدات السابقة، ويعد ذلك بداية المرحلة المنظمة والمبرمجة في تهويد المدينة، ولا يفوتنا أن نذكر أن منتفيوري حاول نشر التعليم في صفوف اليهود القاطنين في القدس لخلق جيل جديد يدعم الأفكار التي ينادي بها منتفيوري وأمثاله[١٣٤]، وقد تجلّى ذلك عندما حرص كل من ساند المشروع اليهودي على إنشاء المدارس وتشجيع التعليم ودعمه مادياً، فكانت المدارس الدينية في الكنس[١٣٥]، وهناك المدارس التي رعتها جمعيات يهودية وأوروبية، كالتي أنشأتها جمعية الإليانس ومدرسة روتشلد داخل القدس[١٣٦]، وما أن شارف القرن التاسع عشر على الأفول حتى وصل عدد الطلاب اليهود في القدس إلى ١٧٠٠ طالب يهودي[١٣٧].

كذلك أنشئت المستشفيات اليهودية لتقديم الرعاية الصحية، ومنها مستشفى روتشلد الذي أُسِس عام ١٢٧٠هـ/١٨٥٤م، ويقع في حارة اليهود[١٣٨]، ومستشفى بيكورحوليم في محلة الأرمن وهو لليهود الاشكنازيم[١٣٩]، ومستشفى كاب اللراخ[١٤٠]، كذلك المستشفيات الأجنبية التي كانت تفتح أبوابها لليهود مثل المستشفى الإنجليزي[١٤١]، وجاءت كثرة تعدد المراكز الصحية بسب الزيادة الملحوظة الناتجة عن

---

١٣٢. شولش، **تحولات**، ص١٤٨.

١٣٣. شولش، **تحولات**، ص٩٢؛ الشناق، **العلاقات**، ص ٣٤٠.

١٣٤. علي محمد علي، **ملف وثائق وأوراق القضية الفلسطينية**، مركز دراسات الشرق الأوسط، الهيئة العامة، مكتبة الأقصى، القدس، (د،ت) ص٢٩-٣٠؛ الحلاق، **موقف**، ص٤٦-٤٨؛ سوسه، **العرب**، ص ٧٢٠؛ أمين أبو بكر، **ملكية الأراضي في متصرفية القدس** ١٨٥٨-١٩١٨م، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، ١٩٩٦م،، ص ٣٠٠.

١٣٥. س ش القدس ٣٧٩، ٢١شوال١٣٠٧هـ/٢١ايار١٨٩٠م، ص٥٩؛ س ش القدس ٣٩٢، شعبان١٣١٧هـ/٥ كانون الأول١٨٩٩م، ص٧١.

١٣٦. س ش القدس ٣٩٤، ٢٨رجب١٣٠٩هـ/٣١كانون الثاني١٨٩٢م، ص٢٣؛ Ben-Arieh, Yehoshua. **Jerusalem in the 19th Century**: Emergence of the New City. New York; St. Martins Press.1986, p. 343

١٣٧. سليم تيماري، **القدس ١٩٤٨، الأحياء العربية ومصيرها في حرب ١٩٤٨**، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ٢٠٠٢، ص٢١.

١٣٨. س ش القدس ٤٠٧، ١٨ذي الحجة١٣٢٩هـ/٢تشرين الثاني١٩١١م، ص٧٣؛ جريدة البشير/بيروتعدد٧١١، تموز١٨٩١م؛ العارف، المفصل، ص٦٧١.

١٣٩. س ش القدس ٣٧٩، جمادى الأولى١٣٠٧هـ/٢٤كانون الأول١٨٨٩م، ص٣٥؛ س ش القدس ٤٠٠، ١٣شعبان١٣٣٠هـ/١٦تموز١٩١٢م، ص١٨٧.

١٤٠. س ش القدس ٤٠٧، ٦ربيع الثاني١٣٣٠هـ/٣٠آذار١٩١٢م، ١١٤.

١٤١. س ش القدس٣٨٨، ١٦ جمادي الأولى١٣١٤هـ/تشرين الأول١٨٩٦م، ص١٧٥؛ العارف، المفصل،

الهجرة المستمرة إلى القدس، كذلك انتشار المطابع والصحف[١٤٢] التابعة لليهود، وهذا مؤشر إلى توسع الطائفة اليهودية من جهة، وزيادة اهتمامهم بطباعة الكتب ونشر الثقافة بين مختلف الفئات اليهودية في القدس من جهة أخرى.

وبالعودة إلى منطقة باب الخليل هذه التي لفتت أنظار غير اليهود عندما طلب القنصل الروسي في القدس شراء قطعة أرض تبعد ١كم من باب الخليل، وقد شيد عليها فيما بعد مبنى المسكوبية[١٤٣] الشهير، حيث اشتمل على دار للأسقفية الروسية ودار للقنصلية ومستشفى وصيدلية وكنيستين ومنازل لإيواء الوافدين إلى القدس من الحجاج الروس[١٤٤].

وقد استمر استيطان اليهود جهة باب الخليل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فأقاموا عدداً من الأحياء "القومبانيات[١٤٥]"، ومنها: "نحلات شبعاه١٢٨٦هـ- ١٨٦٩م" و"عين شالوم" على طريق يافا، وبيت محفاة١٢٨٢هـ/١٨٦٥م، وبيت ديفيد١٢٨٧هـ/١٨٧٠م، ومشكونوت يسرائل١٢٩١هـ/١٨٧٥م، ومزكيرت موشه١٣٠٠هـ/١٨٨٢م، وأوهال موشيه١٣٠٠هـ/١٨٨٢م، وسكوت شالوم١٣٠٨ ١٨٨٨م، وزخروف طوفيا١٣١٠هـ/١٨٩٢م[١٤٦].

من هنا يظهر أن اليهود استفادوا فائدة عظيمة من الأوضاع التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر والتي أسهمت إسهاماً فاعلاً-ديمغرافياً وايديولوجياً- في السيطرة على القدس[١٤٧]. فمن ناحية ديمغرافية زاد عدد اليهود في المدينة بعد قدوم جماعات كبيرة إليها من بلاد مختلفة فوصلت نسبتهم في منتصف القرن التاسع عشر إلى (¼)[١٤٨]، كما أشارت بعض المصادر التي تعود إلى أواخر القرن

ص٦٧٠؛ الدباغ، بلادنا، ج١، ق٢، ص٢٠٦.

١٤٢. سالنامة نظارة معارف عمومية سنة١٣١٨/١٩٠٠م، سنة٣، مطبعة عامرة، دار الخلافة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، ص١٦٦٥-١٦٦٦؛ Ben-Aierh, Jerusalem, pp. 130-137

١٤٣. المسكوبية: كلمة تركية تعني الروسية وهي نسبة إلى بلاد الروس، العارف، **المفصل**، ص٣٠٣.

١٤٤. شولش، تحولات، ص١٤٧، مناع، تاريخ، ص١٨٨؛ أبو بكر، ملكية، ص٣٤٩؛ A.L. Tibawi, Russian Cultural Penetration of Syria and Palestine in the 19th Century, The Royal Central Asian Journal, Vol. 53. 1966, pp. 166-182.

١٤٥. بن آريه يهوشوع، **القدس في القرن التاسع عشر**، ترجمة سليمان مصالحة، القدس، ياد بن اتسفي، ١٩٩٠م، ص٢٠٧.

١٤٦. ومن القومبانيات التي تقع جهة باب العمود إلى الشمال الغربي من المدينة، مئة شعاريم١٢٩١هـ/١٨٧٤م، بيت ديفد١٢٩٤هـ/١٨٧٧م، بيت إسرائيل١٣٠٤هـ/١٨٨٦م، بيت يوسف١٣٠٦هـ/١٨٨٨م، محنه يهودى١٣٠٦هـ/١٨٨٨م، يهوشع بن آريه، **الأحياء اليهودية التي تنبت خارج أسوار القدس في ثمانينيات القرن١٩**، مجلة كاثدرا، القدس، عدد ٤٦، ١٩٩١م، ٢١-٥٦؛ الشناق، **العلاقات**، ص٣٢٨-٣٢٩.

١٤٧. أمين عبد ا محمود، **مشاريع الإستيطان اليهودي منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى**، الكويت، ١٩٨٤م، ص ٦٤؛ سلام فاضل المسعودي، **السياسة الصهيونية في تهويد الأرض الفلسطينية**، دار أسامة، عمان، ٢٠٠٣م، ص ١٠.

١٤٨. في إطار الدعاية الإعلامية الصهيونية يذكر أحد الكتاب الصهاينة أن عدد من كان فيها في حدود منتصف القرن التاسع عشر فاق العشرة آلاف يهودي، http://encarta.msn.com.Shaul Cohen, B.A., M.A.,

التاسع عشر إلى هذا النمو السكاني اليهودي في القدس، وقد جاءت على النحو الآتي:

المصدر	السنة	مسلمون	مسيحيون	يهود	المجموع
دفتر نفوس العثماني[١٤٩]	١٢٦٦هـ/١٨٤٩م	٢٤١٧٧	٣٨٠٤	٨٩٥	٢٩٨٧٦
مصادر يهودية[١٥٠]	١٢٩٣هـ/١٨٧٦م	٧٥٦٠	٥٤٧٠	١١٠٠٠-١٢٠٠٠	١٣٠٣٠
سالنامة ولاية سوريا[١٥١]	١٣٠٣هـ/١٨٨٨	٤٥٠٠	٣٦٩٠	٣٨٠٥[١٥٢]	١١٩٩٥
الرحالة Conder[١٥٣]		٥٠٠٠	٥٣٠٠	١٢٤٠٠	٢٢٧٠٠
القنصلية الأمريكية[١٥٤]	١٣٠٥هـ/١٨٨٧م	١٠٠٠٠	١٢٠٠٠	٢٥٠٠٠	٤٧٠٠٠
الإحصاء العثماني[١٥٥]	١٣٢٣هـ/١٩٠٥م	١١٠٠٠	٨٠٠٠	١٣،٤٠٠	٣٢٤٠٠
Ben-Arieh[156]	١٣٢٨هـ/١٩١٠م	١٢٠٠٠	١٣٠٠٠	٤٥٠٠٠	٧٠٠٠٠

يلحظ من هذه الأرقام مدى التغيرات الديمغرافية في القدس المتمثلة بزيادة عدد اليهود الناجمة عن زيادة عدد المهاجرين من اليهود إلى القدس، كما يلحظ تراجع أعداد السكان من المسلمين؛ نظراً إلى انتشار الأمراض والطاعون، أو الهجرة إلى دول أوروبا وأمريكا[١٥٧]، ويظهر من خلال هذه

Ph.D؛ شولش، تحولات، ص١٥٠.

١٤٩. شولش، تحولات، ص٤١؛ أبو بكر، ملكية، ص١٤٢.

150. Scholch, Alexander. Jerusalem in the 19th Century"1831-1917", K. J. ,ed. New York, Olive Branch Press, 1990, p.231 ؛http://www.mideastweb.org/palpop.

١٥١. سالنامة ولاية سورية، دفعة١٣، ١٢٨٨هـ/١٨٧١م، ص١٤٨؛ شولش، تحولات، ص١٠٥؛ رافق، **الموسوعة الفلسطينية**، م٢، ص٩٠٧؛ Socin,A. Alphavetisches Ver Zeichniess Von ortsch aften Der Paschalik Jerusalem, ZDPV. Vol. 2 1879, p. 131-163.

١٥٢. حساب نسبة متوسط العائلة التي اعتمدتها الدولة العثمانية في إحصاء السكان ستة أفراد لكل أسرة.

153. Conder, Claude, R and Kitchener, H: The Suvey of Western Palestine, Vol.3,-London, 1882, Vol III, p.162

154. United States, Department of State, National Archives and Records service Administration, Dispatches from United state consuls in Jerusalem, Palestine, 1856-1906.5rolls.

155. Macarthy, Justin, The population of Palestine: Population History and Statistics of the Late Ottoman Period and the Mandate. New York: Columbia University. Press, 1990.p.8-14 ؛ تيماري، القدس١٩٤٨، ص٢٥.

156. Ben-Arieh,. Jerusalem, pp. 278-279, 199, 126-131.

١٥٧. البشير ٢٢ايلول١٨٩١م، ص٢، N.A.W.M453, Jerusahem25 September, 1865؛ س ش القدس٤١٢، ١٦جمادى الأولى١٣٣٢هـ/آذار١٩١٤م، ص٢.

الإحصاءات الآنفة الذكر أن النشاط الصهيوني ببعديه القومي والديني بات أمراً واقعاً وفاعلاً في القدس، وهو واقع ما كان ليتحقق لولا الدعم والمساندة من أطراف عديدة لاسيما المؤسسات اليهودية الراعية للهجرة اليهودية التي برز نشاطها في أواخر القرن التاسع عشر.

أما إدارياً، فقد ظهر اليهودي في تشكيلة المجالس الإدارية للقدس حسب نص الدستور، ومنها: أنه في عام ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م، كانت طائفة اليهود ممثلة في مجلس شورى القدس بوكيل الطائفة المدعو "رونة"[١٥٨]، كما ظهرت الطائفة في مجلس الولايات العثماني"المجلس العمومي" الذي تم تشكيله في ١٢٦٥هـ/١٨٤٨م وقد شكل في حينه من أربعة أعضاء من المسلمين وعضو واحد لكل من اليهود والمسيحيين[١٥٩]، وكان المجلس البلدي للقدس أول مجلس بلدي في الدولة العثمانية بعد استانبول-الذي تم تشكيله بفرمان عثماني عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م-قد أعطى لطائفة اليهود بأن يكون لهم عضو واحد[١٦٠]، وقد لاقى هذا القرار ترحيباً بين أوساط اليهود؛ كونهم ممثلين فيه، كما تعزز دعمهم للمجلس البلدي بعد أن رفع تمثيلهم فيه إلى عضوين هما: فاليرو وامزليغ[١٦١].

كما حقق اليهود نجاحات على الصعيد الأيديولوجي، فبدأت في هذه المرحلة تتبلور الأفكار السياسية حول المشروع الصهيوني لاسيما في مؤتمر لندن١٢٥٦هـ/١٨٤٠م، الذي تحولت فيه الأفكار إلى مشروع صهيوني ظهرت ملامحه في المؤتمر لاسيما آلية تحييد سوريا من الصراع مع محمد علي، لكن ما حدث هو عدم نضوج المشروع الصهيوني في ذلك الوقت حال دون تمرير هذه المخططات، وما غنمه اليهود من ذلك هو اندماج المخططات الغربية المتعلقة بالمسألة الشرقية مع المصالح اليهودية الصهيونية، وقد كان ذلك الدافع الأساسي نحو تطوير مشاريعهم الرامية إلى السيطرة على القدس وفلسطين.

من جهة أخرى، يبدو أن التطور الحاصل في الغرب كان حافزاً لليهود للبحث عن وطن خاص لهم بعد أن نجح الغرب في تحقيق الدولة القومية كلاً على أرضه، فرأت الجماعات اليهودية أن تبحث عن أرض تضم اليهود ويحققون فيها الدولة القومية، وكانت خير وسيلة لهم هي اللعب على وتر القدس ومدينة داود والهيكل؛ لإذكاء الشعور الديني في نفوس اليهود المقيمين في الغرب الأوروبي لاسيما في أمريكا الذين كان من الصعب إقناعهم بالعودة في ظل الرفاهية الاقتصادية التي ينعمون بها[١٦٢].

*** موقف الدول الغربية :**

أما حقيقة موقف الدول الغربية فقد ارتكزت في موقفها على الخصوصية اليهودية، المتمثلة في

١٥٨. س ش القدس ٣٢٠، ٩صفر١٢٥٢هـ/١٨ايار١٨٦٣م، ص٢١.

١٥٩. س ش القدس ١٥شوال١٢٨٢هـ/١٧شباط١٨٦٥م، ص١٩٩؛ اسامة حلبي، **بلدية القدس العربية**، الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، ١٩٩٣م، ص٧؛ أبو بكر، **ملكية**، ص١٩٤.

١٦٠. الدستور، **نوفل**، ١م، ص٤٢١؛ الشناق، **العلاقات**، ص٥٣.

١٦١. س ش القدس٣٨٨، ذي القعدة١٣٠٣هـ/١١آب١٨٨٦م، ص٥٣؛ شمعون لندمان، **أحياء أعيان القدس خارج أسوارها في القرن١٩**، تل أبيب، دار النشر العربي، ١٩٩٤م، ٦٦.

١٦٢. حداد، **هل لليهود**، ج١، ص٣١٦.

البيئة السيئة والظروف المعيشية الصعبة والعزلة الفكرية والحضارية التي كان اليهود فيها منبوذين داخل المدن الأوروبية، وباتوا فيها عبئاً على الدول الغربية[١٦٣]. رأت هذه الدول أن تصل إلى حلٍ يراعي المبادئ الإمبريالية السائدة آنذاك-حمى الاستعمار-من جهة، ويساعد اليهود في تحقيق آمالهم الرامية إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين من جهة أخرى، وبذلك تكون الدول الغربية قد ضربت (عصفورين بحجر واحدٍ)، الأول: التخاص من الواقع المقرف للتجمعات اليهودية المتخلفة من قاب المدن الأوربية التي تعج بالحياة والدنميكية، وثانياً: تستخدم أو تسخر هذه الدولة وتمن عليها بأن وفرت الظروف المواتية لإقامة دولتهم على أرض إسرائيل؛ فيكونوا الأحرص على مصالح هذه الدول التي لولاها ما حصلوا على شيء [١٦٤].

*** موقف الدولة العثمانية:**

ننوه في هذه الدراسة بأن الدولة العثمانية وهي على أعتاب ولادة مؤسسة يهودية جديدة(الحركة الصهيونية) وفي ظل الهجمة اليهودية الواسعة على الأرض المقدسة، ومن باب الحرص على القدس وقدسيتها، شرعت بالقيام بعدد من الإجراءات والمحاذير والقيود منذ فترة مبكرة من القرن التاسع عشر[١٦٥]؛ حتى تلجم هذه المشاريع، ومنها سن العديد من القوانين التي تحد من قدوم اليهود إلى فلسطين والإقامة فيها، كما حاولت فرض رقابة على انتقال الأراضي[١٦٦]، فقد وردت برقية إلى متصرف القدس الشريف من وزارة الداخلية التركية تطلب فيها من المتصرف عدم تمليك اليهود للأراضي وتسجيلها وعدم منحهم رخصاً للبناء[١٦٧]، كذلك شرعت الدولة العثمانية في تنصيب حكام للقدس ذوي خبرة واسعة في العمل الإداري من أمثال محمد شريف رؤوف باشا١٢٩٩هـ/١٨٨١م، الذي لعب دوراً بارزاً آنذاك في منع قدوم يهود جدد إلى فلسطين[١٦٨]، وأشارت جريدة البشير البيروتية في أعدادها الصادرة في القرن التاسع عشر إلى خطورة الهجرة اليهودية، ومن ذلك ما جاء في العدد"٦٦٠" أن سبعة آلاف من اليهود أخبروا لجنة المهاجرين الإسرائيليين في يافا عن رغبتهم في ترك روسيا والتوطن في

---

١٦٣. اندروه موروا، **بريطانيا في عهد الملكة فيكتوريا**، ترجمة متري نعمان، ص٢٧-٣٠؛ جودت السعد، **الشخصية اليهودية عبر التاريخ**، بيروت، ١٩٨٨م، ص٩٠؛ الحلاق، **موقف**، ص٢٨-٣٣.

١٦٤. عبد الوهاب المسيري، **الأيديولوجية الصهيونية**، الكويت، ٢٠؛ الموسوعة العالمية، ج١٥، ص١٨٥.

١٦٥. يوجد وثيقة في الأرشيف العثماني في استنبول تحت رقم MKT/M H M 2/10، تعود إلى ٦ربيع الثاني ١٢٦٢هـ/٤آذار١٨٤٦م، وهي عبارة عن أمر سلطاني موجه إلى حاكم القدس يفيد بمنع اليهود الأجانب من شراء الأراضي في القدس، واستعادة الأرض التي بيعت لليهود.

١٦٦. ملفات القنصلية الألمانية، ملف رقم F/٢٤٧/١٩٨، عدد ١٤، ٧١؛ الشناق، **العلاقات**، ص٢٦٢.

١٦٧. أرشيف إحياء التراث، أبو ديس /القدس، رقم ٣/٢٩، ١٣/١٣٣١/٥، تبليغ متصرفية القدس الشريف، ٢٦مارس١٣٣١هـ، نمرة٤.

١٦٨. جريدة البشير، بيروت، ع٧٧،٣ايار١٨٨٣م، ص٢؛ أوراق المتصرف أكرم بك، مسودة عريضة إلى الصدر الأعظم، ٢٣يوليو١٩٠٧م، 1/f/.أرشيف دولة إسرائيل القدس. N.A.w.m. F/19/793, R23, 15 September 1888

فلسطين[١٦٩]. وأرادت الدولة العثمانية -في هذا السياق- أن تعبر عن طبيعة العلاقة التي تربطها بالقدس الشريف عندما حولتها إلى متصرفية تتبع مباشرة إلى العاصمة أسطنبول[١٧٠]، لكن هذا السياسات الجديدة وغيرها لم تكن ذات مستوى؛ لأنها افتقرت إلى الوسائل الناجعة لتطبيق ذلك على أرض الواقع أمام القوة المالية الهائلة لليهود، والهوس المفرط في شراء الأراضي، فنجدهم قد أعطوا أموالاً طائلة للسماسرة وأصحاب الأراضي لتحقيق ذلك [١٧١]، وبموازاة ذلك كان الدعم الغربي -بدوافعه الإمبريالية والسياسية والدينية- يقوض هذه التوجهات العثمانية، مما جعل الأمور تسير بوتيرة عالية وصولاً إلى المؤتمر الصهيوني الأول"١٣١٥هـ/١٨٩٧م" الذي تُوج بتأسيس الحركة الصهيونية التي تعد أول منظمة سياسية عالمية ذات بعد قومي لليهود في العصر الحديث والمعاصر[١٧٢].

نتائج البحث:

علينا أن نأخذ في الاعتبار أن المشروع الصهيوني لم يكن وليد الصدفة ولكنه ظهر بفعل تشبع العقلية الصهيونية بالفكر القائم على وحدة التاريخ اليهودي، وحتى يحقق هذا المشروع أهدافه تم ربطه بمصالح الدول الاستعمارية التي ما فتئت تدعم هذا المشروع -لاسيما بريطانيا- لتحقيق الأهداف الدينية والجغرافية والسياسية التي وضعتها هذه الدول؛ إذا ما وصل المشروع إلى النجاح المنشود.

يبدو أن موضوع القدس شكّل عاملَ جذب لليهود خاصة في التعبئة الفكرية والايديولوجية، مستغلين موضع الهيكل ومدينة داود وسليمان، وبالتالي كانت القدس وسيلة لخلق كيان قومي على أرض فلسطين وإنشاء دولتهم المزعومة، ودليل ذلك ما قاله وايزمان رئيس المؤتمر اليهودي (لو أعطيت القدس لنا فلن نأخذها لأنها ستثير مشاكل لا حصر لها)، وقول هرتزل عندما جاء إليها عام ١٩٠٣م قال (لا شيء فيها لنا).

-أن تهويد القدس هي عملية تراكمية طويلة تخللتها أحداث هامة وعقبات أخرت تنفيذ هذه المشروع. واللافت أنهم استطاعوا الالتفاف على هذه العقبات بدهائهم ومكرهم وليس ذلك فقط بل التقدم على صعيد تهويد المدينة المقدسة.

-إن مقاومة مشروع تهويد القدس تكون بالتزام الأبجديات الدينية والقومية باعتبارها دعائم ومرتكزات أساسية يمكن لها أن تكون الرادع الصلب في وجه حمى التهويد الذي جند له يهود العالم بمختلف طوائفهم وأجناسهم ومعتقداتهم.

صفوة القول، يعد المشروع الصهيوني من القدس سرطاناً مستشرياً في جسدها يطوقها من كل صوب وقد صمم أن تلفظ آخر نفس لها تَفُح منه العروبة والإسلام. كما شَكّلَ التحدي الصهيوني تجاه

---

١٦٩. البشير عدد ٦٦٠، ٣ايار ١٨٨٣م، ص٢.

١٧٠. ذكرت القدس كمتصرفية في مصادر عثمانية متنوعة، سالنامة دولت علية عثمانية، مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية ١٢٩١هـ/١٨٧٤م، ص١٩٥، ٢٥٤؛ العارف، **المفصل**، ص٣١١.

١٧١. أبو بكر، **ملكية**، ص٥٩٦-٦٠١.

١٧٢. ثيودور هرتزل، **دولة اليهود**، بيروت، ١٩٩٧م، ص٤١-٥٠.

مدينة القدس العربية في عمقه وتبعاته ومداه الزمني العامل الأكثر تأثيراً وحساسيةً في الصراع العربي الإسرائيلي.

The Jewish Community in Jerusalem from the Beginning of the Ottoman Period up to the Commencement of the Zionist Movement

*Ibrahim Rabayaa**

ABSTRACT

The article deals with the vital and topical aspect of the Arab-Israeli dispute represented by the Judaization of Jerusalem. The article sheds light on the reality of the Zionist project to judaize Jerusalem. It also seeks to concentrate on the time period that witnessed the first appearance of the plans and instruments used then to implement their aims whereby we can recognize the historical development of that plan and its desired styles to "Israelize" the stones and people. It will be possible for us to recognize–from what we will present later–the change or development in the means that they followed based on the regional circumstances and new developments that had positive and negative impacts on their project. This study examines the cultural and civilization heritage of the Arab communities, especially the Ottoman documents that are an early and authentic source recording the history of the city of Jerusalem in its various aspects throughout the Ottoman period.

The Jews, considered as a part of Jerusalem society, are recorded in many documents of legal cases that the Jews were party to. After examining the documents that date to the Ottoman period, I found a large quantity that address their situation that are worthy of study for understanding the first beginnings of the Jewish presence in Jerusalem before the Zionist movement was founded. This study showed the necessity of dealing with this topic in order to understand the situation and the nature of the plans and the methods that the Jews used to strengthen their presence and to gain control of what they could in the holy city.

Keywords: Jerusalem, The Jews, Ottoman Period, Zionist Movement.

*Jerusalem Open University, Tulkarem, Palestine. Received on 18/10/2007, accepted for publication on 1/7/2008.